التنمية

بالمفهوم الشامل في الإسلام

التنمية

بالمفهوم الشامل في الإسلام

التنمية

بالمفهوم الشامل في الإسلام

تأليف
الدكتور عبد الله عبد الرحيم العبادي

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

نشر وتوزيع
دار الثقافة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وعلى آله، وصحبه النجباء.

وبعد، فإن التنمية التي تناولها الكتّاب المسلمون المعاصرون في كتاباتهم، هي: التنمية الاقتصادية، والتنمية الإجتماعية، والتنمية البشرية تبعاً لكتّاب الغرب، وما عدا ذلك حسب ما اطلعت عليه، لم يتناولوه في كتاباتهم، ومؤلفاتهم المتعددة.

ونحن إذا تتبعنا تعاليم الشريعة الغراء، وما شرعه الخالق تبارك وتعالى لهذه الأمة، نجد أن الإسلام يأمر بالتنمية في كثير مما شرعه الله تعالى وفي كثير من المجالات، إذا ما استثنينا النواهي، والمحرمات، ولم تقتصر على مجال دون غيره من المجالات، بل حثّ على ذلك، وباركه في كل زمان ومكان، فهي تشمل كثيراً من أوامر الشرع، وتعاليمه، ولم تقيده بشيء معين.

فالتنمية مطلوبة في كثير من المجالات التي أمر الله بها، ونبيه ﷺ.

ولم ينصَّ الفقهاء في كتبهم المتعددة ـ حسب علمي ـ على لفظة (التنمية) ولكن يؤخذ فهمها: من نصوص الكتاب والسنة، والإجماع.

ولا داعي لذكر هذه اللفظة (التنمية) ما دامت تطبق عملياً على أرض الواقع: تفهم من أوامر الشرع الحكيم، وتوجيهاته في الشريعة الغراء، والتطبيق العملي للمسلمين، وتشمل كثيراً من الأوامر: من فرائض، وواجبات، وسنن كذلك.

د. عبد الله العبادي

وقد اشتمل هذا المؤلف على ما يلي:

١ ـ الفصل الأول: التنمية في مجال الإيمان.

٢ ـ الفصل الثاني: التنمية في مجال العبادات.

٣ ـ الفصل الثالث: التنمية في مجال الأخلاق والآداب والسلوك.

٤ ـ الفصل الرابع: التنمية في مجال الحقوق والواجبات.

٥ ـ الفصل الخامس: التنمية في مجال العلم، والمعرفة والاختراع.

٦ ـ الفصل السادس: التنمية في مجال الجهاد.

٧ ـ الفصل السابع: التنمية في مجال النظافة والطهارة.

٨ ـ الفصل الثامن: التنمية في مجال التربية.

٩ ـ الفصل التاسع: في مجال التنمية البشرية.

١٠ ـ الفصل العاشر: التنمية في مجال المسؤولية.

١١ ـ الفصل الحادي عشر: في مجال تنمية شخصية المسلم.

١٢ ـ الفصل الثاني عشر: في مجال تنمية النصيحة.

١٣ ـ الفصل الثالث عشر: في مجال التنمية الإجتماعية.

١٤ ـ الفصل الرابع عشر: في مجال تنمية الروح والعقل والجسم في الإطار الإسلامي.

١٥ ـ الفصل الخامس عشر: في مجال تنمية الدعوة إلى الإسلام.

١٦ ـ الفصل السادس عشر: في مجال تنمية الأخوة والمحبة في الله.

١٧ ـ الفصل السابع عشر: في مجال تنمية التوبة، والإستغفار والذكر والدعاء.

١٨ ـ الفصل الثامن عشر: في مجال البذل، والعطاء والإنفاق.

١٩ ـ الفصل التاسع عشر: التنمية في مجال العمل والكسب.

٢٠ ـ الفصل العشرون: في مجال تنمية المال.

١ ـ التنمية في مجال التجارة.

٢ ـ التنمية في مجال الزراعة.

٣ ـ التنمية في مجال الثروة الحيوانية.

٤ ـ التنمية في مجال الصناعة.

٢١ ـ الفصل الحادي والعشرون: في مجال التنمية الإقتصادية.

٢٢ ـ الفصل الثاني والعشرون: التنمية في مجال الإنتاج.

تعريف التنمية:

التنمية لغة «النماء» أي الإزدياد التدريجي من الأجسام الحية، ويقال نما المال نمواً.

ويقال: (نما الشيء ـ نماء، ونمواً: زاد، وكثر، يقال، (نما الزرع، ونما الولد، ونما المال و(أنمى الشيء) جعله نامياً[(١)].

ويعرفها المعاصرون الإقتصاديون بأن «التنمية عملية شاملة متكاملة، تتضمن كافة الجوانب الإقتصادية والإجتماعية والبشرية والقانونية، والتعليمية، والسياسية والأخلاقية»[(٢)].

---

(١) انظر المعجم الوسيط باب (نما).

(٢) د. زكي محمد إسماعيل «التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية» مجلة كلية العلوم العربية العدد الرابع.

الفصل الأول

التنمية في مجال الإيمان

١ ـ تنمية ذكر الله تعالى باستمرار

١ ـ تنمية التفكر في مخلوقات الله تعالى باستمرار

الفصل الأول

التنمية في مجال الإيمان[(١)]

مذهب السلف، وجل الأئمة: أن الإيمان يزيد وينقص: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية وهو قول وعمل، ونية، وهو قول الصحابة، ولم يعرف لهم مخالف.

والدليل على الزيادة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[(٢)]. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ﴾[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ﴾[(٥)].

---

(١) انظر كتاب «لوامع الأنوار وسواطع الأسرار الأثرية» للشيخ محمد بن أحمد السفاريني.

(٢) الأنفال آية ٢

(٣) آل عمران آية ١٧٣

(٤) التوبة آية ١٢٤

(٥) المدثر آية ٣١

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾[(٢)].

قال الحافظ بن حجر في شرح البخاري: «ذهب السلف إلى أن الإيمان يزيد، وينقص. وأنكر ذلك المتكلمون».

وقال الإمام النووي، والأظهر المختار: «أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصدِّيق أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشك».

وهو قول الإمام الشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة.

وإذ قد ثبت أن الإيمان يزيد وينقص فما هي الوسيلة إلى الزيادة والتنمية؟

السبيل والوسيلة لتنمية الإيمان: زيادة الطاعات بأنواعها: من صلاة وصيام وصدقة، والازدياد من تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى بكرة وأصيلا والتفكر في مخلوقات الله تعالى، وإثراء العقل بوحدانيته. قال ﷺ: «إن الإيمان ليخلق[(٣)] كما يخلق الثوب، فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم»، قيل: وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «أكثروا من قول لا إله إلا الله»[(٤)].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[(٥)].

(١) محمد آية ١٧
(٢) الكهف آية ١٣
(٣) يخلق: يضعف ويبلى.
(٤) رواه الحاكم.
(٥) آل عمران آية ١٩١

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[٢].

لذلك نرى أن الإسلام يوجب النية في كل عمل يعمله المسلم، فيستحضر النية في قلبه وإلا فإن الله تعالى لا يقبل منه ذلك العمل.

فتكرار النية نماء لذكر الله تعالى: لئلا يشرك العبد في عبادته سبحانه معه أحداً. فيبعد عنه الرياء (الشرك الأصغر) حيث يرائي العبد في عبادته، فيجعل شريكاً للّه سبحانه في عبادته، سواء كان ذلك العمل صغيراً أم كبيراً.

فالنية توقظ القلب الغافل عن ربه، وتوجهه نحو ربه، وتذكره باستمرار، فهذه هي التنمية في الإيمان.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس توبوا إلى ربكم، فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم مائة مرة»[٣].

وقال ﷺ: «إنه ليران على قلبي وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة»[٤].

وقال ﷺ: «إن العبد إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإذا تاب واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»[٥].

---

(١) الأحزاب آية ٣٥
(٢) الأحزاب الآيتان ٤١ ـ ٤٢
(٣) رواه البخاري
(٤) رواه مسلم
(٥) والحديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجه

وفي السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: «رب اغفر لي، وتب عليَّ إنَّك أنت التوَّاب الرحيم؛ مائة مرة»[١].

فالمداومة على ذكر الله تعالى والاستغفار وفعل الخيرات باستمرار تنمية لإيمان العبد بربه وتجديد العلاقة بخالقه، وتنمية للصلة به، لذلك شرعت الصلوات الخمس، لصلة العبد بربه كل يوم خمس مرات، فيزداد إيمانه به ولا ينقص.

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي.

الفصل الثاني

التنمية في مجال العبادات

١ ـ التنمية في الصلاة.

٢ ـ التنمية في الزكاة.

٣ ـ التنمية في الصوم.

٤ ـ التنمية في الحج.

الفصل الثاني
التنمية في مجال العبادات

تمهيد:

للعبادة معنيان:

أ ـ معنى خاص: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

ب ـ ومعنى عام: وهي كل ما يعمله المسلم في حياته من أجله تعالى، فهو عبادة بشرط النية: أن يكون العمل خالصاً لوجهه الكريم. حتى قضاء شهوة الإنسان بالحلال، فهو يؤجر عليه، وبدون نية ليس له من الأجر شيء.

وللعبادات الخاصة مقاصد:

المقصد الأول:

الغاية التي من أجلها شرعت تلك الطاعة، وهي أداء حق الخالق تبارك وتعالى عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وحق العباد على الله؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم: قال: حق الله على العباد: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن يدخلهم الجنة»[1].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

والله يستحق العبادة من وجوه:

أولاً:

لذاته ولعظمته، وجلاله، وكبريائه، وكماله المطلق. ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[1].

ثانياً:

لإحسانه، وإنعامه غير المحدود ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[2].

ثالثاً:

لجزائه: لأنه سبحانه، أعد للطائعين، الجنة، وأعد للعصاة النار، لهذا كان الواجب على العبد عبادته خوفاً، وطمعاً، ورغباً، ورهباً ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[3].

المقصد الثاني:

تزكية النفس، والقلب، وتربية الضمير والخوف من الخالق تبارك وتعالى، ورجاؤه، والإخلاص له في العبادة.

---

(١) الكهف، آية ٢٨.
(٢) لقمان، آية ٢٠.
(٣) الأعراف، آية ٥٦.

ففي الصلاة يقول تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[١].

وفي الزكاة يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾[٢]، وفي الصيام يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[٣].

وفي الحج يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[٤].

المقصد الثالث:

تأكيد أواصر الأخوة في الله، وهذا مقصد أصلي في الإسلام بعد أداء حق الله تعالى، وتربية النفس على التقوى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[٥]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[٦].

---

(١) العنكبوت، آية ٤٥.
(٢) التوبة، آية ١٠٣.
(٣) البقرة، آية ١٨٣.
(٤) الحج، آية ٣٢.
(٥) آل عمران، آية ١٠٣.
(٦) الأنفال، آية ٤٦.

والمتتبع لأوامر الشرع في العبادات، يجد كذلك أنه مطالب بالتنمية في عبادته دائماً وباستمرار. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]، فالمسلم يعبد الله بالفكر، ويعبده بالقلب، ويعبده باللسان، ويعبده بالسمع والبصر، وسائر حواسه، ويعبده بسائر بدنه، ويعبد الله عن طريق بذل المال، وبذل النفس، والهجرة كذلك.

ومهمة العبادات: أن تذكّر المخلوق الإنسان بخالقه، ومربيه، وتنبهه، إذا غفل عن مولاه، وهي تأخذ بيده، إذا غرق في الدنيا وأعمالها، لتنقذه من ذلك.

لذلك شرعت الصلوات خمس مرات في اليوم والليلة، علاوة على النوافل، والسنن.

فالصلوات توجِّه الروح إلى خالقها، وتصلها به لكي لا تنساه، وتنسى فضله، وإحسانه المستمر على العبد، بل في كل لحظة من عمره، فهو مغمور بنِعَمه تعالى.

١ ـ التنمية في مجال الصلاة

الصلاة صلة بين العبد، وربه، فاتصال العبد بربه في اليوم والليلة خمس مرات في الفرائض. وما عدا ذلك نفلاً، ينمي اتصاله بخالقه، وهو واقف بين يديه، فيتذكره، ويجدد صلته به كل يوم، فهذا الاتصال المتكرر تنمية لخوفه من خالقه، بعدم الاقتراب من محارمه ورجائه أو لجوئه إليه، والتذلل بين يديه.

(١) الذاريات، آية ٥٦.

وكذلك اتصاله بإخوانه المسلمين كل يوم خمس مرات، ما هو إلا تنمية لصلته بهم.

وتكرار حضور القلب بالنية قبل الصلاة ما هو إلا تنمية، وقبل ذلك الوضوء، في اليوم والليلة أكثر من خمس مرات التي هي صلاة الفرض، ثم صلاة الضحى، ثم صلاة الليل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[(١)].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾[(٢)]، وقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»[(٤)].

وتكرار حضور صلاة الجماعة، والترغيب فيها، وزيادة أجرها، هو في حد ذاته تنمية للأجر والثواب والوقوف بين يديه، والخشوع له في الصلاة في كل حين لهو دليل قاطع بأن الإنسان المسلم مطالب بالتنمية في صلواته بأدائها في أوقاتها. قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[(٥)] كما أن المسجد يؤدي دوره في تنمية المجتمع

---

(١) النساء، آية ١٠٣.
(٢) المؤمنون، آية ٩.
(٣) البقرة، آية ٢٣٨.
(٤) متفق عليه.
(٥) المؤمنون، الآيتان ١ و٢.

بزيادة الألفة، والترابط، والتماسك بين المسلمين وتنمية الشعور الجماعي.

وسأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ مرافقته في الجنة، فقال: أَعِنّي على نفسك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة»[١] وقال: «إن البِرَّ ليُذَرُّ فوق رأس العبد ما دام في صلاته»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني، لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه»[٣].

وقال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»[٤]، وقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب، وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه»[٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي، وهو صحيح.
(٣) رواه البخاري.
(٤) مسلم، والترمذي، والنسائي.
(٥) رواه الخمسة إلا أبا داود.

ﷺ: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث. تقول: اللهم ارحمه»[(١)].

ـ وصلاة الجماعة فيها تنمية لزيادة الحسنات، ومحو السيئات، فصلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة، وفي روايته بسبع وعشرين درجة.

ـ وزيادة على ذلك، فإن الماشي إلى بيوت الله لأداء الفرض في جماعة، إذا وضع رجله كتبت له حسنة، وإذا رفعها، محيت عنه سيئة، وهكذا حتى يصل إلى بيت الله بشرط الخروج على طهارة.

ـ وبشارة أخرى في تنمية حسنات الماشي في الظلم قوله ﷺ: «بشّروا المشائين في الظلم بالنور التام يوم القيامة»[(٢)].

ـ وبشارة أخرى للمواظب على بيوت الله لأداء صلاة الجماعة، وهي أن يظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ـ وبشارة أخرى لمن ينتظر الصلاة في المسجد، كأنه في صلاة»[(٣)].

فَدَوْرُ المسجد في التربية عظيم، وتنمية لها، فالتربية تحمل معنى التنمية.

فهناك تنمية من الناحية الروحية، وتنمية من الناحية الخلقية، وهناك تنمية من الناحية النظافية، وهناك تنمية من الناحية العملية، وتنمية من ناحية التدريب على الصبر، وتدريب على الحرية، وتدريب على المساواة، وهناك تنمية من الناحية البدنية، والعسكرية.

---

(١) رواه الأربعة.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي.

(٣) متفق عليه.

وصلاة الليل فيها تنمية للعبد لقربه من خالقه، والوقوف بين يديه بتذلل، وخشوع، وتنمية لجسمه بالرياضة: بأداء الحركات: من الركوع، والسجود، والقيام، وكل الصلوات كذلك، وتنمية للروح، لاتصالها بخالقها ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾[١].

وسأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ مرافقته في الجنة قال: «أَعِنّي على نفسك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة»[٢].

كل ما ذكرنا من باب تنمية صلاة المسلم، وتنمية حسناته، سواء في الفرض، أم في التطوع.

أحبّ الأعمال إلى الله في العبادة المداومة عليها، أي تنميتها من حين لآخر، وهذا ما دعا إليه رسول الله ﷺ بقوله: «أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»[٣].

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن عمله ﷺ قالت: «كان عمله ديمة»[٤] أي دائماً غير مقطوع أي ينميه دائماً، وباستمرار، لا ينقطع عنه.

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن الصلاة المفروضة الخمس في حد ذاتها، ينميها الخالق تبارك وتعالى، فيجعلها في الثواب خمسين صلاة، نظراً لما فرضت عليه في أول الأمر، وهذه خاصية لأمة محمد ﷺ، بأن أكرمها، وأعطاها شيئاً لم تفعله ولم تقم به أصلاً!![٥].

---

(١) الذاريات، الآيتان ١٧ و١٨.
(٢) رواه مسلم، والترمذي، والنسائي وفي الموطأ.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) انظر في ذلك كله كتابنا «الجمعة والجماعة وبيان الحكمة من التشريع»، وكتابنا «الخصائص الإسلامية وما توحي إليه من أهداف وتحقق من غايات».

٢ ـ التنمية في مجال الزكاة

الزكاة لغة: النماء، والزيادة، والطهارة، فالتنمية في المال شيء مطلوب من المسلم سواء كان ذلك نقوداً، أم عروض تجارة، أم زراعة أم صناعة، فهو مأمور بتنميته، ولا يقف ذلك عند حد معين.

وبنمائها، وزيادتها، يُنمى سهم الفقير، والمسكين، والمحتاج، فهي تنمية للمجتمع.

فالمسلم عندما يؤدي ما عليه من زكاة عند دوران الحول، أو عند الحصاد، فكأنما يزيد من ماله.

قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[2]، وقال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»[3]، وكلما زاد المال، زادت الزكاة لصالح الفقير والمسكين. وبإعطاء الزكاة لمستحقيها، ينمو المجتمع بتقوية أواصره، وزيادة عدد أفراده، وتنمو كذلك شخصية المسكين والمحتاج، وهو ما يسمى بالتكافل الإجتماعي.

٣ ـ التنمية في مجال الصوم

وفي الصيام تنمية الإنسان المسلم تنمية متكاملة[4]: من الناحية

---

(١) البقرة، آية ٢٧٦.
(٢) سبأ، آية ٣٩.
(٣) رواه مسلم، والترمذي، وأحمد.
(٤) انظر موسوعة العلم الحديث في ميزان الكتاب والسنة.

الروحية، والتنمية الصحية، والتنمية البدنية، والتنمية النفسية، والتنمية الخلقية، والتنمية الإجتماعية، والفكرية كذلك.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[1] وقال: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾.

فالصيام كله خير وإليك التفصيل:

١ ـ التنمية الروحية:

الإنسان مكون من روح، وجسد، فللجسم مطالبه، من جنس عالمه السفلي: كالأكل، والشرب، وأنواع الشهوات، وللروح مطالبها من جنس عالمها العلوي، فإذا انغمس الإنسان في متطلبات جسده بملذاته المتعددة وترك متطلبات روحه، فقد خسر خسراناً مبيناً.

فما هو الواجب عليه إذاً؟

الواجب عليه، أن يعطي جسمه ما يتطلبه، ويعطي الروح متطلباتها كذلك.

ومتطلباتها: أن يرتقي بها إلى السماء، فتسمو إلى عالمها العلوي، فيتحرر الإنسان من سلطان الغرائز البشرية، وينطلق من سجن جسده، ويتغلب على نوازعه، كما أن جسمه يحصل على متطلباته في الأرض كذلك.

فبالصوم يحصل التوازن للإنسان من متطلبات روحه، ومتطلبات جسده، فلا يعلو أحدهما على الآخر.

لذلك شرع الله الصيام، ولهذا السبب.

---

(١) البقرة، آية ١٨٣.

٢ ـ أما التنمية الصحية:

فإن الإنسان المسلم، إذا ما صام، فإنه ينقذ نفسه من كثير من الأمراض: كداء السمنة وكذلك مرض البول السكري، وهو ناتج غالباً عن زيادة الوزن.

وكذلك هو علاج من اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر في المواد الزلالية، وهو كذلك علاج من آلام المفاصل، وهو كذلك وقاية من مرض «النقرس» وسببه تناول اللحوم بكثرة.

٣ ـ أما التنمية البدنية:

فالمعروف في الصيام: أنه يحدث في الجسم عملية بناء، وعملية هدم:

ففي عملية البناء تتكون خلايا جديدة، ليكون الجسم أكثر حيوية، وصحة، وأقدر على أداء الوظائف الجسمية المختلفة، وفي عملية الهدم يستهلك الجسم الخلايا القديمة في كل عضو من أعضائه، وذلك بالتخلص من الخلايا الهرمة، أو الخلايا المريضة أو تلك التي عجزت عن أداء واجبها.

ومعنى ذلك: أن الصيام يقوم بعملية تجديد، وتنشيط لأنسجة الجسم.

وذلك يعني أن الصيام سلاح ذو حدين: وقاية، وعلاج في نفس الوقت.

٤ ـ أما التنمية النفسية:

فالأطباء يرون: أن هناك علاقة بين الاضطرابات النفسية، والأمراض العضوية: فالقلق، والتوتر العصبي، والخوف، والأرق، قد

ينعكس على القلب، وضغط الدم العالي، وأمراض الذبحة أو الجلطة في الشرايين.

٥ ـ التنمية النفسية، والخلقية:

ولم تقتصر فوائد الصيام على ما تقدم، وإنما هي علاج تربوي، وأخلاقي، وسلوكي، فهو خير وسيلة لتربية النفس، وتقوية الإرادة، فهو يعوّد الإنسان على فضيلة الصبر، ومجاهدة النفس، فهو يمتثل أوامر الشرع الحكيم في قوله ﷺ: «إذا كان صوم يوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب فإن سابه أحد، أو قاتله، فليقل: إني صائم»[(١)].

وقوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور، والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع صيامه وشرابه»[(٢)].

٦ ـ التنمية الإجتماعية:

إذا صام الغني، وعضّه الجوع، تذكّر إخواناً له في الدين، والعقيدة: من الفقراء، والمساكين والأيتام، والمعوزين وتحركت بداخله عاطفة الدين، والإيمان، ليقوم بواجبه تجاههم مما رزقه الله تعالى، فينفق عليهم بسخاء وبطيب خاطر.

قال ﷺ: «أفضل الصدقة، صدقة في رمضان»[(٣)].

وقال ﷺ: «من فطّر صائماً، فله أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئًا»[(٤)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي، وهو ضعيف، ولكن يعمل به لأنه في فضائل الأعمال وهو قول الشافعي وأحمد وغيرهما.

(٤) رواه أحمد والترمذي، وهو صحيح.

ثم يأتي دور صدقة الفطر آخر شهر رمضان التي هي واجبة على كل مسلم: من صغير، وكبير، وذكر، وأنثى، وحر، ومملوك، لتحل مشكلة الفقراء، والمساكين والأيتام، والمعوزين في ذلك اليوم السعيد، يوم العيد لقوله ﷺ: «أغنوهم في هذا اليوم عن المسألة»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو، والرفث، وطعمة للمساكين[٢].

٤ ـ التنمية في مجال الحج

الحج في اللغة: القصد.

وهو الركن الخامس من أركان الإسلام الخمسة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٣].

ومن السنة قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً»[٤].

الحكمة من الحج في العمر مرة واحدة، تتضح من قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أَكُلّ عام يا

(١) رواه البيهقي وهو ضعيف السند، ولكن يعمل به في فضائل الأعمال كما مر.
(٢) رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الحاكم.
(٣) آل عمران، آية ٩٧.
(٤) متفق عليه.

رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال النبي ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»[(١)].

وبخصوص التنمية في الحج إليك ما يلي:

١ ـ أهم تنمية للحاج هي تنمية العقيدة، وإثراؤها فالمسلم عندما يرى جميع الحجاج، قد تجردوا من ملابسهم، ولبسوا ذلك اللباس الأبيض الذي يشبه الكفن، وتركوا ذلك النعيم، والأهل، والولد، والوطن، وتجردوا من كل شيء، ورأى ذلك الحشد الهائل من الناس في صعيد واحد على اختلاف ألوانهم، وألسنتهم، وأعمارهم، وواجباتهم، ولا فرق بين غني، وفقير، أو بين عزيز في قومه، وذليل، ولا بين وزير، وراعي غنم، تذكر ذلك الموقف العظيم الذي يقف جميع الناس بين يدي الله العظيم يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[(٢)].

٢ ـ تنمية التربية، والتدريب

ففي الحج تربية، وتدريب على احتمال الأذى والمشاق، والصبر على ذلك، ومفارقة الأهل والوطن، وخشونة العيش، والتضحية بالراحة والمنفعة، والنعيم.

٣ ـ وهي تنمية، وتربية، وتدريب على الصبر، وتحمُّل المشاق، والكلفة، والاحتمال، فلا يحلق شعره ولا يقصره، ولا ينتفه، ولا يقص أظافره، ولا يتعرض لصيد باصطياده، أو إيذائه ولا يلبس مخيطاً. إلى أن يحل من إحرامه.

٤ ـ تنمية شعور المسلمين بوحدتهم، وتكاتفهم وحبهم لبعضهم

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي.

(٢) الشعراء، الآيتان ٨٨ و٨٩.

بعضاً دون معرفة سابقة رغم اختلاف ألسنتهم، وأجناسهم، وألوانهم.. تصديقاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[(١)]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[(٢)].

٥ ـ التنمية الروحية:

قال ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[(٣)].

وقوله ﷺ: «أفضل الأعمال إيمان بالله، ورسوله، ثم جهاد في سبيله، ثم حج مبرور»[(٤)] فهذه الشحنة الروحية تقوي كيان المسلم المعنوي.

٦ ـ تنمية الأخلاق الكريمة، والآداب عند المسلم:

فهو يمسك نفسه عند الانفعال، ومضرة الآخرين بقول، أو عمل، ولا يقابل السيئة بالسيئة في ذلك المكان الطاهر، وإن كان للمسلم الحق في أن يقابل السيئة بالسيئة لقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[(٥)].

إلا أنه في مثل هذا الموقف العظيم، يمنع نفسه: أن ينتقم لنفسه، بل عليه أن يسلّم تسليماً لكل من آذاه: قولاً، أو فعلاً، أو إشارة، كما هو حال الصائم. قال ﷺ: «من حج، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع

---

(١) الحجرات، آية ١٣.
(٢) الروم، آية ٢٢.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) الشورى، آية ٤٠.

كيوم ولدته أمه»[١].

٧ ـ تنمية الاعتماد على النفس، وعدم الاحتياج إلى الآخرين، فتنتفي عنه الأنانية البغيضة: ذلك أن حياة الحاج حياة تنقل، وحلّ، وترحال، وبُعد عن الترف، فيها التكلف، والتعقيد والتنقل من مكان إلى مكان.

٨ ـ يكسب المسلم شحنة روحية، وعاطفية في ذلك الموقف العظيم، لتبقى معه، وفي ذكرياته إلى ما شاء الله تعالى، ويتذكرها على الدوام.

٩ ـ تنمية المساواة، والوحدة، والسلام عند المسلمين.

١٠ ـ الحج مؤتمر عظيم، تنمو فيه أفكار المسلمين، فيوحي إليهم بالعزة للمسلمين، وبالقوة والكرامة ويوقظ المسلمين من سباتهم، ويولّد عندهم الشعور في تحقيق آمالهم المستقبلية، ويبعث فيهم الهمم العالية لمستقبل الإسلام والمسلمين.

ونلاحظ فيما مر: أن في كل عبادة من العبادات المذكورة: الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج: جانب رباني، وجانب إجتماعي.

فالجانب الرباني يربط العبد بربه وبصورة جماعية كذلك.

والجانب الإجتماعي يربط المسلمين بعضهم ببعض، مما يؤكد لمَّ شملهم، ووحدة كلمتهم، وتعاونهم، ويبعث فيهم الروح الجماعية، والشعور الجماعي.

---

(١) متفق عليه.

الفصل الثالث

التنمية في مجال الأخلاق والآداب، والسلوك

١ ـ التوكل على الله تعالى.

٢ ـ خُلق الإيثار.

٣ ـ خُلق الرحمة.

٤ ـ خُلق العدل.

٥ ـ خُلق الإحسان.

٦ ـ خُلق الصدق.

٧ ـ خُلق الكرم.

٨ ـ خُلق الصبر.

٩ ـ خُلق التواضع.

١٠ ـ خُلق العفو.

١١ ـ السلوك الحسن.

١٢ ـ الآداب الإسلامية.

الفصل الثالث
التنمية في مجال الأخلاق والآداب والسلوك

معنى الخلق: هو العمل الصالح المحمود عقلاً، وشرعاً الذي يلتزمه المرء، ويداوم عليه حتى يصير له عادة لا يتخلى عنها.

ولما كانت الأخلاق الفاضلة، والآداب مكتسبة بواسطة الرياضة، والتربية، فإن المسلم يعمل دائماً على تنمية تلك الأخلاق، والآداب، حتى تصبح سلوكاً، وديدناً له، فتصبح جزءاً منه لا ينفصل عنه بحيث يتعهدها بأن تزيد باستمرار، ولا تنقص:

١ ـ التوكل على الله: قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

٢ ـ الإيثار وحب الغير: الإيثار هو أن تؤثر غيرك بشيء لا غنى لك عنه: من أكل، وشراب، ومتاع وآنية.. فتعطيه غيرك هو في حاجة ماسة إليه، فتؤثره، وتقدمه على نفسك، وعيالك.

وهذا الخلق خلق عظيم، ونبيل، لا مثيل له قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[2].

(١) المائدة، آية ٢٣.
(٢) الحشر، آية ٩.

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»[(١)] وهو من خصائص الإسلام.

٣ ـ خُلق الرحمة: من الأخلاق الحسنة: خلق الرحمة التي يجب على المسلم أن يتخلق بها، وأن يزاولها، ويستمر عليها، وينمّيها، فيقدم الرحمة لمن يستحقها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾[(٢)].

وقال ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[(٣)].

وقال ﷺ: «إنما يرحم من عباده الرحماء»[(٤)].

٤ ـ خُلق العدل: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾[(٦)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾[(٧)].

---

(١) متفق عليه.
(٢) البلد، الآيتان ١٧ و١٨.
(٣) رواه الطبراني، والحاكم بسند صحيح.
(٤) رواه البخاري.
(٥) النحل، آية ٩٠.
(٦) الحجرات، آية ٩.
(٧) الأنعام، آية ١٥٢.

فالمسلم مطالب بالعدل دائماً، وباستمرار وفي كل زمان ومكان، وعلى أي الأحوال كان، ولو كان ذا قربى.

٥ ـ خُلق الإحسان: قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[٣].

وقال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[٤].

فالإحسان في مجال العبادات: أن يؤديها أداء صحيحاً سليماً غير منقوصة: من استيفاء شروطها، وأركانها، وسننها، وآدابها، كالصلاة والصيام، والحج، وغير ذلك.

وأما الإحسان في المعاملات: فهو أن تقوم بما يلزم نحو الآخرين دون نقصان، أو تردد.

وللوالدين: هو برّهما بطاعتهما، وإيصال الخير لهما بعد موتهما.

وهو للأقارب برّهم، ورحمتهم، والعطف عليهم وكف الأذى عنهم.

ولليتامى: المحافظة على أموالهم، وأن تصون حقوقهم، وأن تؤدبهم التأديب اللازم لهم..

---

(١) القصص، آية ٧٧.
(٢) البقرة، آية ١٩٥.
(٣) النحل، آية ٩٠.
(٤) رواه مسلم، والأربعة، وأحمد.

ولأبناء السبيل: أن تقوم بقضاء حاجاتهم، وسد خلتهم، وصيانة كرامتهم، وأن ترشدهم إلى الخير، وتبعدهم عن الشر.

وللخادم: أن تؤدي حقه غير منقوص قبل أن يجف عرقه، وتصون كرامته، وتحترم شخصيته، وأن تشبعه وتكسوه الكسوة اللائقة به.

أما معاملة الناس فهو معاملتهم بالإحسان، ومخاطبتهم باللين في القول، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر والاعتراف بحقوقهم، وبكف الأذى عنهم..

فالإحسان من خصائص المسلم الحق، يلتزم به في كل مكان، وزمان، وينميه بمرور الأيام.

٦ ـ خُلق الصدق:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾(١).

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ٢٣﴾(٢).

وقال ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقاً، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(٣).

وفائدة الصدق يكسب محبة الله تعالى، ومحبة الناس والوثوق به، وبأقواله.

٧ ـ خُلق الكرم والسخاء: الكرم من شيم المؤمنين، لأنهم

---

(١) التوبة، آية ١١٩.
(٢) الأحزاب، آية ٢٣.
(٣) رواه مسلم.

يعلمون: أن هذا المال، هو مال الله، وهو الذي رزقهم، وهو قادر على أخذه منهم متى شاء، وهو أمانة لديهم، فلذلك ينفقونه فيما أمرهم به، ولا يبالون بذلك، وأنه تعالى سيعوضهم عن ذلك متى شاء. أما البخيل، فإنه يمنع ذلك، لأنه ناقص الإيمان. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[1].

ويقول: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾[2].

وقال ﷺ: «إن الله جواد، يحب الجود، ويحب مكارم الأخلاق، ويكره سفاسفها»[3].

٨ ـ خلق الصبر، والعفو، وتحمّل الأذى: الصبر خلق كريم يتحلى به المؤمن كامل الإيمان، فالمسلم يحبس نفسه على المكروه الذي يناله، ويلزمها إلزاماً على ذلك، فلا يجزع، ولا يتأفف ولا يتضجر، ويحبس نفسه عن المعاصي، فلا يقترب منها.

ويحبس نفسه على الطاعة التي أمر الله بها، فلا يضيّعها، ولا ينقصها، بل يؤديها في أوقاتها؛ والصبر يناله صاحبه بنوع من الرياضة، والمجاهدة قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ

(١) البقرة، آية ٢٧٢.
(٢) المنافقون، آية ١٠.
(٣) متفق عليه.
(٤) البقرة، آية ٤٥.
(٥) النحل، آية ١٢٧.

ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾[١].

وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[٢].

وقال ﷺ: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»[٤].

٩ ـ خلق التواضع: المسلم مطالب بالتواضع، ومأمور به لمن يستحق ذلك، فهو من أخلاقه المثالية، وصفاته العالية الحميدة.

قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[٧].

وقال ﷺ: «إن الله أوصى إليّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»[٨].

وقال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا

---

(١) لقمان، آية ١٧.
(٢) البقرة، الآيتان ١٥٥ و١٥٦.
(٣) رواه الخمسة.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) الحجر، آية ٨٨.
(٦) الشعراء، آية ٢١٥.
(٧) القصص، آية ٨٣.
(٨) رواه مسلم.

عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه»[١].

١٠ ـ العفو: ومن الأخلاق الكريمة التي يدعو إليها الإسلام ويأمر بها، وأعظمها شأناً العفو عند المقدرة، فإن العفو من شيم الرجال.

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾[٣].

قال عقبة بن عامر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ لقيت رسول الله ﷺ، فابتدأته، فأخذت بيده. فقلت: يا رسول الله: أخبرني بفواضل الأعمال، فقال: يا عقبة صلْ من قطعك، وأعطِ من حرمك، وأعرضْ عمن ظلمك»[٤].

ما هي نتيجة العفو عند المقدرة؟

١ ـ رضا الله تعالى، وهو المقصد الأول، والمطلوب.

٢ ـ كسب أصدقاء جدد، وهذا مهم في حياة المسلم.

٣ ـ ثناء الناس، وتوقيرهم، وإجلالهم له.

٤ ـ لعل صاحب العفو يقع في خطأ، فيناله مثلما فعل من العفو.

العفو مستحب، ومرغب فيه ما لم يترتب على ذلك مفسدة في الدين، والمجتمع، أما إذا ترتب عليه مفسدة، فإنه حينئذ، لا يجوز العفو، وذلك لما قرره العلماء من أن «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الأعراف، آية ١٩٩.
(٣) البقرة، آية ٢٣٧.
(٤) رواه أحمد.

١١ ـ السلوك الحسن: السلوك الحسن: هو المظهر الخارجي للأخلاق، وهو التطبيق العملي، لتنميتها، والاستمرار عليها.

١٢ ـ ونلاحظ كذلك: أن الإسلام يطلب من المسلم ويحضه على تنمية الآداب: كأدب السلام، وأدب الإستئذان، وأدب المحادثة، وأدب الجلوس، وأدب الأكل والشرب.. ومعنى تنميتها: يعني يتأدب بها المسلم في كل زمان ومكان، ومع كل إنسان، لا يخص شخصاً دون آخر، إنما هي تشمل الصغير، والكبير، الغني والفقير.. فلا يقتصر على أفراد دون أفراد آخرين، ولا مكان دون مكان، ولا زمان دون زمان.

يقول ﷺ في إفشاء السلام: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[١].

وإفشاء السلام معناه: أن تسلم على من تعرف وعلى من لا تعرف.

---

(١) رواه الترمذي.

الفصل الرابع

التنمية في مجال الحقوق والواجبات

١ ـ تنمية الحقوق والواجبات نحو الوالدين.

٢ ـ تنمية الحقوق والواجبات نحو الأبناء.

٣ ـ تنمية الحقوق والواجبات نحو الزوجين.

٤ ـ تنمية الحقوق والواجبات نحو ذوي القربى.

٥ ـ تنمية الحقوق والواجبات نحو الجيران.

٦ ـ تنمية الحقوق والواجبات نحو المسلمين عامة.

الفصل الرابع
التنمية في مجال الحقوق والواجبات

التنمية في مجال الحقوق والواجبات، ومعنى تنميتها: الاستمرار في تعهدها: بأن تزيد، ولا تنقص: بإعطاء الآخرين حقوقهم، دون توقف، أو تلكؤ، أو تضجر، أو تأفف، أو إلحاق ضرر، أو إيذاء لهم، سواء عن طريق الكلام، أو عن طريق الفعل، أو الإشارة.

١ ـ تنمية الحقوق، والواجبات نحو الوالدين:

يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[(١)]، ودليل التأكيد على حقهما في الحياة، وإعطائهما حقهما كاملاً غير منقوص، وهو أنه سبحانه قرن الإحسان إليهما بطاعته مباشرة.

وإن الولد مهما عمل مع والديه، فلا يمكن أن يوفّيهما حقهما كاملاً.

يقول ﷺ: «لا يجزىء ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً، فيشتريه، فيعتقه»[(٢)].

---

(١) الإسراء، الآيتان ٢٣ و٢٤.

(٢) رواه مسلم.

وقد سأل صحابي النبي ﷺ: من أحق بحسن صحابتي يا رسول الله، قال: «أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك»[(١)].

وقد بينت الآية سبب ذلك التفضيل للأم على الأب، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[(٢)].

ذلك لما لاقته الأم من الألم، والتعب، والسهر والمشقة، والإرضاع: فقد لاقت الأم ثلاثة متاعب قاسية لم يتحملها الأب، أولها مشقة الحمل، وثانيها مشقة الوضع، وثالثها مشقة الرضاعة والتربية.

أما برّهما بعد موتهما ـ فبيّنه ﷺ ـ لأحد أصحابه عندما سأله، قال: يا رسول الله: هل بقي عليّ شيء من بر أبوي بعد موتهما، أبرُّهما به؟ قال: نعم: خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك من قبلها، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما»[(٣)].

ومعنى الصلاة عليهما: الدعاء لهما.

وقال ﷺ: «إن مِن أبرّ البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن يولي»[(٤)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) لقمان، آية ١٤.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه مسلم. ومعنى: أهل ودّ أبيه: أي أهل من يحب والده من بعده، ومعنى يولِّي: يموت.

٢ ـ حقوق الأولاد على الآباء:

كما أن الإسلام جعل للوالدين حقوقاً، وواجبات على الأولاد، كذلك جعل بالمقابل حقوقاً للأولاد على الآباء والأمهات، فكل من الوالدين، والأولاد يجب أن يعرفوا ما لهم، وما عليهم من حقوق، ومسؤوليات، فيسيروا على المنهج الذي رسمه الشارع الحكيم، ولا يتعدوه، لكي لا يتصدع بنيان الأسرة، أو يحصل فيه أي خلل، أو تصدع.

وهذه الحقوق والواجبات هي:

١ ـ على الوالد: أن يكفل لأولاده الغذاء، والكساء، ووسائل الراحة، فهو المسؤول عن ذلك أمام الله تعالى، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾[١]، ويقول ﷺ مرغباً في الإنفاق على الأهل، والأولاد وأن ما ينفقه عليهم أعظم أجراً من غيرهم: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»[٢].

وقال ﷺ مهدداً من لا يقوم بواجبه نحو من يعولهم: «كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوت»[٣].

٢ ـ على الوالدين رعاية أولادهما، وتربيتهم التربية السليمة، وتعليمهم، وتهذيبهم ما داموا صغاراً فلا يفرطان فيهم: بأن يتركا الولد

---

(١) الطلاق، آية ٧.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم، وأبو داود.

الصغير يجالس من يشاء، ويماشي من يشاء، فإن كثيراً من الأطفال الذين لم تنضج عقولهم بعد، سرعان ما يتقبلون من غيرهم الخصال الذميمة وينقادون وراءهم دون وعي، أو إدرك، فإذا ما تركا لهم الحبل على الغارب، ولم يهتمّا بهم اهتماماً تاماً، فسوف تكون النتيجة سيئة، ويصعب حينئذ ردهم إلى الصلاح، والإصلاح، لأن الطفل في هذه المرحلة كالعجينة يمكن تشكيله ـ في صغره ـ كيف يشاء الذي يجالسه، أو المربي له. قال رسول الله ﷺ: «لَأَن يؤدب الرجل ولده، خير له من أن يتصدق بصاع»[١].

وقال ﷺ: «ما نحل والد ولده من نحل، أفضل من أدب حسن»[٢].

٣ ـ تجب المساواة بينهم في العطاء، وفي المأكل، والمشرب، والملبس، وفي المعاملة، بحيث لا يفضّل أحداً على أحد منهم.

قال ﷺ: «ساووا بين أولادكم بالعطية فلو كنت مفضلاً أحداً، لفضلت النساء»[٣]، ذلك لأن النساء فيهن ضعف، وسبل الكسب تكاد تكون منعدمة أمامهن، لذلك كُنَّ أحق بذلك التفضيل، ولكن ذلك قد يغيظ الذكور، فيحصل الشقاق في صفوف الأسرة الواحدة، فمنع من ذلك عليه الصلاة والسلام».

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم، وأبو داود.
(٣) رواه البيهقي، و الطبراني.

٣ ـ تنمية الحقوق الزوجية

أ ـ حق الزوج على الزوجة.

ب ـ حق الزوجة على زوجها.

خلق الله الإنسان من ذكر وأنثى، ومن سنّته سبحانه في كونه: أن جعل أحدهما، لا يستغني عن الآخر، فلم يترك الجنس منفصلاً عن الآخر، بل جعل الجنسين يقتربان من بعضهما، فيصبحان كالجسد الواحد، وجعل بينهما المودة والرحمة.

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[2] وفي «لِباس» قولان: أحدهما: أن اللبس السكن مثل: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي سكناً، وهو قول ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد.

والثاني أنهما بمنزلة اللباس لإفضاء كل واحد ببشرته إلى بشرة الآخر، فكنّى عن اجتماعهما مجردين، باللباس»[3].

ولا مانع عندي من إطلاق المعنيين للآية.

---

(١) سورة الروم، آية ٢١.

(٢) البقرة، آية ١٨٧.

(٣) زاد المسير ١/ ١١٩.

أ ـ حقوق الزوج على الزوجة:

١ ـ أن تطيعه في غير معصية الخالق لقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[١].

ولأن الرجل يتحمل المسؤولية الكبرى في البيت ولأن شخصيته أقوى وأنضج عقلاً، وأوسع إدراكاً للأمور، ولأن المرأة غالباً ما تنساق وراء العاطفة دون تفكير في الأصلح، والأمثل، وهذا مشاهد، ملموس، لذلك كان من الحكمة أن جعل الشارع الطلاق في يد الرجل.

٢ ـ أن تنصح له في حضوره، وفي غيابه، فلا تبذر في ماله ولا تفعل شيئاً يكرهه، وألا تُدخل في بيته أحداً، لا يرضاه، وأن تجتهد في أن تعمل كل ما يرضيه في غير معصية.

وقد جاء في الحديث: «لو كنت آمراً أحداً بالسجود لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[٢]، لعظيم حقه عليها.

٣ ـ وألا تمتنع عن الفراش، إذا دعاها، لأنه يغض به بصره، ويحصن فرجه، فلا يتطلع لغيرها.

ب ـ حقوق الزوجة على الزوج:

١ ـ ألا يقصر عليها في نفقة، أو كسوة حسب مقدرته، وأن يعطيها حقها من الفراش، لكي لا تتطلع لغيره وأن يقسم بينها وبين ضرتها بالعدل.

٢ ـ يجب على الزوج نحو زوجته الإخلاص لها، فلا ينظر إلى غيرها نظرات ريبة، أو يُدخل عليها أحداً يسيء إليها، ويؤذيها.

---

(١) النساء، آية ٣٤.

(٢) رواه الترمذي.

٣ ـ على الزوج أن يعامل زوجته معاملة حسنة، ويدخل عليها السرور، لأن المرأة سريعة التأثر. يقول ﷺ: «يا أنجشة رويدك سوقاً رفقاً بالقوارير»[(١)].

شبههن بالقوارير، حيث إن القارورة سريعة الكسر والمرأة سريعة التأثر بما يقترب منها. ويقول ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً»[(٢)]. ويقول: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائه»[(٣)].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إني لَأُحِبّ أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي. لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾[(٤)].

ج ـ تنمية حقوق ذوي القربى:

من هدي الإسلام، ومميزاته: أنه دائماً يدعو إلى الألفة، والمحبة، والتماسك، والتعاطف، والتراحم بين الأفراد والجماعات؛ فبعد أن دعا إلى رباط وشائج الأسرة في داخل البيت بين الأولاد، والوالدين وبيّن حقوق كل من الزوجين، توسع في دائرة الأسرة، ليشمل الأقارب، والأرحام كالإخوان، والأخوات، والأعمام، والعمات، والأخوال والخالات.

فأوجب صلتهم، والرحمة بهم، ورغّب فيها. يقول تعالى مرغباً في الإحسان إليهم: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾[(٥)].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) البقرة، آية ٢٢٨.
(٥) الإسراء، آية ٢٦.

ويقول تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

ويقول تعالى محذراً من قطيعة الرحم، ومن عدم الشفقة عليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

وسئل ـ ﷺ ـ عما يُدخل الجنة من الأعمال ويباعد عن النار، فقال: «تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»[3].

ويقول ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة، وصلة»[4].

وقال: «من أحب أن يُبْسَط له في رزقه، وينسَّأ له في أثره، فليصل رحمه»[5].

فالمسلم لا يتأخر في إسداء المعروف لقرابته ورحمه ولو آذوه، ونغّصوا عليه عيشه، لأنه يبتغي بذلك رضا الخالق جل وعلا، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم، ويقطعونني،

---

(١) سورة النساء، آية ٣٦.
(٢) سورة النساء، آية ١.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه البخاري.
(٥) متفق عليه.

وأحسن إليهم، ويسيئون إلي، وأحلم عنهم، ويجهلون عليّ، قال: لئن كنت، كما قلت، فكأنما تسفّهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[(١)].

والصلة لا تكون بالعطاء من المال، والطعام، واللباس فحسب فقد يكون قريبك في غنى عنك، أو قد تكون أنت فقيراً، ليس له بك ما تعطي الأقارب، وتواسيهم بالمال، فحينئذ تجب صلتهم بالزيارة والمراسلة، وتهتم بشؤونهم، وشؤون أولادهم، كما تهتم بشؤونك الخاصة، وشؤون أولادك.

وقد جاء في الحديث قوله ـ ﷺ ـ: «حق كبير الأخوة على صغيرهم، حق الوالد على ولده»[(٢)]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ ـ فقال: إني جئت ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟ قال: «هل لك من أم؟ قال: لا. قال: وهل لك من خالة، قال: نعم، قال: فبرّها»[(٣)].

مما تقدم يتبين لك مدى اهتمام الإسلام بالأسرة وقوتها، وتماسكها، وكرامتها، ومدى اهتمام الشارع الحكيم بتنمية حقوقها، وواجباتها على الدوام!!.

د ـ تنمية حق الجار:

من الملاحظ في المجتمعات غير الإسلامية: أن الجار يعيش السنوات الطوال، وهو لا يعرف عن جاره شيئاً، حتى ولو مجرد معرفة، والسبب أنه لم تُتح له الفرصة للالتقاء بالجيران والتعرف عليهم.

ولا يوجد دين من الأديان على وجه الأرض مثل الدين الإسلامي،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٣) رواه الترمذي، وابن ماجه.

الذي يحضّ، ويرغّب، ويوصي بالإحسان للجار، والتعرف عليه، والسؤال عن أحواله، وإدخال السرور عليه وعلى أولاده! وهنا تتضح حكمة الإسلام في مشروعية الصلوات الخمس في جماعة كل يوم خمس مرات، فيجتمع الجار مع جاره، والمسلم مع أخيه المسلم، ليتعرف عليه وعلى أحواله، ولتكون الصلة قوية، ودائمة.

يقول تعالى موجباً ومرغباً في الإحسان إلى الجار: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ﴾[١].

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»[٢]. وقال: «خير الأصحاب عند الله، خيرهم لصاحبه، وخير الجيران خيرهم لجاره»[٣].

وقد حذَّر كل التحذير من إيذاء الجار، والتعرض له بسوء قال ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: الذي لا يَأْمن جاره بوائقه»[٤].

وحق الجار ليس خاصاً بالمسلم، بل إن حق الجار يشمل كل من يسمى جاراً بغضّ النظر عن دينه ولونه، وجنسه.

وأحق بالإهداء، والإكرام أقرب الجيران باباً، فقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي، قال:

---

(١) النساء، آية ٣٦.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) متفق عليه، البوائق: الغوائل والشرور.

إلى أقربهما منك باباً»[١].

وجاء في الحديث: «إن الجيران ثلاث: جار له حق واحد وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق: الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم.

وأما الجار الذي له حقان، فالجار المسلم، فله حق الإسلام، وحق الجوار.

وأما الذي له حق واحد: فالجار المشرك، فله حق الجوار».

ويجب أن يعلم المسلم أنه ليس حق الجوار، كف الأذى فحسب، وإنما احتمال الأذى، إذا صدر منه، والرفق به، وابتداء الخير له، وأن يبدأه بالسلام، ولا يطيل من الكلام، ويعوده إذا مرض.

---

(١) رواه البخاري.

الفصل الخامس

التنمية في مجال العلم، والمعرفة، والاختراع.

١ ـ طلب العلم واجب، ولا حدود لطلبه.

٢ ـ تنمية العلم شيء مطلوب، وطلب الزيادة فيه شرف.

٣ ـ الرسوخ في العلم يهدي إلى الإيمان.

الفصل الخامس

التنمية في مجال العلم، والمعرفة، والاختراع

أما التنمية في مجال العلم، والمعرفة، فقد أخذت القسط الأكبر من توجيهات الشرع الحكيم نحو التعلم، وفضله، والإزدياد منه.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[(١)].

فطلب الزيادة في العلم، وتنميته شيء قد اهتم به الإسلام الاهتمام البالغ، وحضَّ عليه. ولا يقف طلب العلم عند حد معين، بل باب طلب العلم مفتوح أبداً، لا يغلق، وله من الأجر، والثواب الكثير، والكثير، فهذه الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، رضىً بما يصنع لقوله ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع، وإن العلماء ورثة الأنبياء»[(٢)].

ويكفي العلم شرفاً: أن أول سورة نزلت في مكة تدعو إلى العلم، والقراءة، والمعرفة، والإمساك بالقلم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾[(٣)].

فينمّي المسلم العلم، وينميه، وينميه إلى ما شاء الله تعالى، فلا يقف عند حد معين.

---

(١) طه، آية ١١٤.

(٢) رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه وإسناده حسن.

(٣) العلق، الآيات ١ ـ ٣.

ويقول تعالى في شرف العلم، والعلماء: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١]، ويقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٢]، ويقول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، فإن عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص من آثامهم شيئاً»[٤].

وقال إذا مات ابن آدم انقطع عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٥]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها، ويعلمها الناس»[٦].

١ ـ وليس المسلم مطالباً بأن يتعلّم فقط، وإنما عليه أن يعلم غيره كذلك.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا العلم، وعلموه الناس؛ تعلموا الفرائض وعلموها الناس؛ تعلموا القرآن، وعلموه الناس، فإني امرؤ مقبوض، والعلم سينقبض وتظهر الفتن، حتى يختلف اثنان في فريضة، لا يجدان أحداً يفصل بينهما»[٧]، وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) المجادلة، آية ١١.
(٢) فاطر، آية ٢٨.
(٣) رواه الطبراني، وابن عدي في الكامل، والخطيب في التاريخ.
(٤) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي.
(٥) رواه الخمسة إلا البخاري.
(٦) متفق عليه.
(٧) رواه الدارمي، والدارقطني.

«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة»[١]. قال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وهو قول مالك، وأبي حنيفة[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: منهومان لا تنقضي نهمتهما: طالب علم، وطالب دنيا. وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله تعالى.

وسئل أبو عمرو بن العلاء: حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟ فقال: ما دامت تحسن به الحياة.

والرسوخ في العلم بتنميته، يهدي إلى الإيمان قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[٣].

٢ ـ لأن العلم يهدي إلى الإيمان، والجهل يهدي إلى الكفر والضلال والخسران في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه أحمد.
(٢) انظر كتاب «مدارج السالكين».
(٣) سورة آل عمران، آية ٧.

الفصل السادس

التنمية في مجال الجهاد

١ ـ جهاد الكفار.

٢ ـ جهاد الفسّاق.

٣ ـ الجهاد بالكلمة.

٤ ـ جهاد الشيطان.

٥ ـ جهاد النفس.

٦ ـ جهاد الدنيا.

الفصل السادس
التنمية في مجال الجهاد

الجهاد في الإسلام (أعني جهاد الكفار) فرض كفاية، إذا قام به البعض، سقط الإثم عن الآخرين، لقوله تعالى عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

أنواع الجهاد:

١ ـ جهاد الكفار، والمحاربين للإسلام، ويكون بالنفس وبالمال، واليد، واللسان، والقلب.

لقوله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم»[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[3].

(١) التوبة، آية ١٢٢.
(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي.
(٣) التوبة، آية ١١١.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾[١].

لذلك كان الرباط في سبيل الله واجباً كفائياً. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٢٠٠﴾[٢].

ومما يدل على تنمية الجهاد بأنه لا يتقيد بزمان دون زمان ولا بمكان دون مكان، فالاستمرار فيه مشروع إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[٣].

والمقصود من جهاد الكفار: هو إعلاء كلمة الله، لا لشيء آخر، وحتى لا تكون فتنة في الأرض بانتشار الشرك في الأرض، وعبادة غير الله.

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾[٤].

ومما يدل على تنمية الجهاد، والاستمرار فيه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۝٦٥﴾[٥].

وقال ﷺ: «من مات ولم يغزُ، ولم يحدّث نفسه بالغزو، مات

---

(١) الصف، آية ٤.
(٢) آل عمران، آية ٢٠٠.
(٣) الأنفال، آية ٦٠.
(٤) الأنفال، آية ٣٩.
(٥) الأنفال، آية ٦٥.

على شعبة من النفاق»[١].

٢ ـ جهاد الفساق:

ويكون باليد، وباللسان، وبالقلب لقوله ﷺ: «من رأى منكراً، فليغيره بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٢].

٣ ـ الجهاد بالكلمة:

وهو أن يقول: كلمة حق أمام سلطان جائر لقوله ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٣].

٤ ـ جهاد الشيطان:

يجب جهاد الشيطان عند وسوسته بفعل أو ترك في العقيدة، أو فعل الطاعات، أو فعل الخيرات، وما يزينه من منكرات، بالتعوذ (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾[٤].

٥ ـ جهاد النفس الأمارة بالسوء:

وهو من أعظم أنواع الجهاد، إذا سوّلت لصاحبها فعلاً منكراً، أو ترك فريضة، أو ترك واجب، وسُمِّي الجهاد الأكبر لقوله ﷺ عندما قدم من غزاة: «قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر؟ قال: «مجاهدة العبد هواه»[٥].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، والأربعة.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) الأعراف، آية ٢٠٠.

(٥) رواه البيهقي، والخطيب في تاريخه عن جابر رضي الله عنه، وهو ضعيف السند.

٦ ـ جهاد الدنيا:

يجب على المسلم أن يجاهد الدنيا عندما تغزوه بمظاهرها الفتانة، وتتزين له بزينتها البراقة الخادعة، وتغويه، وتغريه، لكي يقع في المهالك: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ﴾[1]، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾[2].

---

(١) الحديد، آية ٢٠.

(٢) لقمان، آية ٣٣.

الفصل السابع

التنمية في مجال النظافة، والطهارة

١ ـ النظافة المعنوية: نظافة السريرة.

٢ ـ النظافة الحسية.

٣ ـ نظافة البدن، واللباس، والفرش.

٤ ـ نظافة المساجد، والبيوت والأماكن العامة.

الفصل السابع
التنمية في مجال النظافة والطهارة

نعني بتنمية النظافة، والطهارة: تعهدها، والمداومة عليها باستمرار، وفي كل زمان، ومكان، والعناية بها، وهي في الإسلام عبادة، وتنميتها عبادة.

فالدين الإسلامي يهتم دائماً ويأمر أتباعه بالنظافة المعنوية، أو الباطنية، والحسية، أو الظاهرية معاً وعلى حد سواء، فيأمر المسلم: أن يكون طاهر العقيدة بنبذ الشرك بالله تعالى، وأن يعبده وحده، والإخلاص له في العبادة، ويبعد عنه الرياء كذلك، لأنه الشرك الأصغر، وأن يكون سليم النية، لا يُكنّ الحقد، والحسد، وسوء الظن لأحد من عباده المؤمنين، وأن يُبعد عنه الكبرياء والعجب بالنفس.

ويأمره بنظافة الجسم، واللباس وأن يكون نظيف المأكل والمشرب، نظيف المسكن، والمركب، والمكان كذلك. والغاية من تنمية تلك النظافة، هي المحافظة على سلامة الجسم من الأمراض المتعددة، وكسب المودة والمحبة لمن حوله من إخوانه المسلمين، ومن ثم الوصول إلى غاية الغايات، وهي رضى الخالق تبارك وتعالى وهي سر حياته، وسيره على الأرض، ولا يستغني عنها بحال من الأحوال.

فنظافة الجسم، ونظافة الثوب، والفرش، ونظافة المأكل، والمشرب، كل ذلك يستدعيه الواقع، ويوجب عليه، ويحتمه: بأن يسلك ذلك المسلك المستمر، لينقذ نفسه من الهلاك، والدمار، وإليك ذلك بالتفصيل:

أ ـ تنمية النظافة المعنوية مهمة للغاية، في حياة المسلم والعناية بسريرته؛ يتبين ذلك من الحديث الآتي:

جلس رسول الله ﷺ ـ مرة مع أصحابه فقال: يخرج عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فدخل رجل من الأنصار، نعله في شماله، وماء الوضوء يقطر من لحيته، وفي اليوم الثاني تكرر قول الرسول ﷺ، وخرج الرجل نفسه، وفي اليوم الثالث تكرر قول الرسول ﷺ، وخرج الرجل نفسه، فتبع عبد الله بن عمر ذلك الرجل، حتى وصل إلى بيته، فقال له: إن رأيت أن تضيفني، فافعل، فقال الرجل: نعم، ورحّب به، فمكث عبد الله عنده ثلاث ليال، فرأى الرجل ينام الليل، فإذا انقلب، ذكر الله، ثم ينام، فلا يستيقظ، إلا لصلاة الفجر.

ولما انقضت الليالي، أخبره عبد الله بما قال رسوله ﷺ، عنه، ثم سأله: ما رأيتك تزيد بحثاً في العمل، فبِمَ بلغت هذه المنزلة التي تحدث بها رسول الله ﷺ؟ قال الرجل: يا ابن أخي هو ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، ولم أبت ليلة ضاغناً على مسلم[(١)].

يتضح من هذه القصة: أن الرجل لم يكن قد نال تلك المرتبة العظيمة بكثرة الصلاة، والصيام، والصدقة، فما كان يزيد عما أوجبه الله عليه، وإنما نالها بنظافة سريرته الكاملة من جانب الخالق، والمخلوق.

ب ـ تنمية النظافة الحسية المطلوبة من المسلم:

١ ـ من النظافة الحسية التي دعا إليها الإسلام قوله ﷺ: «خمس من الفطرة: الاستحداد والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر»[(٢)].

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأحمد.

هذه المواضع الخمسة أمر بنظافتها، لأنها موضع تراكم الأوساخ، فتجلب لصاحبها، إذا أهمل، الأمراض المتعددة، وكذلك بإزالتها يحسّن المسلم هيئته أمام الناس، فيستطيع بذلك مخالطتهم دون اشمئزاز منه، أو نفور.

٢ ـ الأمر بإزالة جميع النجاسات: كالبول، والغائط، والدم، ولحم الخنزير، والفضلات عامة، بل جعل إزالتها من شروط الصلاة، فلا تقبل صلاة مَنْ على بدنه، أو ثوبه، أو المكان الذي يصلي فيه شيء من تلك النجاسات.

وقالت عائشة ﵂، «كانت يد رسول الله ﷺ: اليمنى لطهوره، وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه، وما كان من أذى»[(١)].

٣ ـ ومن باب تنمية النظافة الحسية للمسلمين: الوضوء الذي يغسل المسلم وجهه، ويديه، ويمسح رأسه وأذنيه ويغسل رجليه كل يوم خمس مرات في اليوم والليلة وجعل الوضوء شرطاً للدخول في الصلاة، وهذه الميزة، لا تكاد توجد في أي دين من الأديان، ومن ذلك المضمضة، والاستنشاق، وتخليل الأصابع، واللحية، فالمضمضة تزيل ما علق بالفم من بقايا الأكل من الفم والرائحة الكريهة، والاستنشاق يزيل الأتربة، والأوساخ من الأنف، وكذلك مسح الأذنين يزيل ما علق بهما من أتربة، وأوساخ.

ـ ومن باب تنمية النظافة كذلك الوضوء لصلاة الضحى، وصلاة الليل، والوضوء، عند الخروج من المنزل، وعند النوم.

ـ ومن باب تنمية النظافة: غسل اليدين قبل الأكل وبعده، وأمره بالاغتسال من الجنابة، وغُسل يوم الجمعة، وغُسل العيدين..

(١) رواه أبو داود.

ـ ومن باب تنمية النظافة: أمر بنظافة الثياب قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾[(١)].

أي نظفها من كل نجاسة، وقذارة، فالثياب، كما هو معروف معرضة للغبار، والأتربة، فأمر المسلم بنظافتها بعدما أمر بنظافة الجسد.

وقد رأى ﷺ رجلاً قذر الثياب، فقال: «أما وجد هذا ما يغسل به ثوبه؟»[(٢)].

وأمر سبحانه نبيه بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾[(٣)] وهو أمر لأمته من بعده.

وقال ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[(٤)].

بأن يتجمل بالثياب الجميلة، النظيفة، لكي يستطيع مخالطة الناس والقرب منهم، ولئلا ينفروا من منظره السيىء، وسلوكه المشين.

٤ ـ من باب تنمية النظافة: أمر باستعمال السواك في أماكن عدة وأكد استعماله، فإن كان الأطباء في الوقت الحاضر ينصحون كثيراً باستعمال المعجون، والفرشاة قبل النوم، وعند القيام منه، ويؤكدون أن مرض الأسنان يسبب عدداً من الأمراض الباطنية، والخارجية، علاوة على سقوط الأسنان نفسها، إذا لم تتلق العناية كاملة ـ فإن المسلمين قد سبقوهم بذلك لعدة قرون مضت.

وإن نبي الإسلام قد حثّ أمته على استعمال السواك في أوقات مناسبة، ومتكررة في اليوم، والليلة، فيسن عند الوضوء، وعند الصلاة،

---

(١) المدثر، آية ٤.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) الضحى، آية ١١.

(٤) رواه الترمذي، والحاكم.

وعند القيام من النوم وعند تغير رائحة الفم . .

يقول ﷺ : «لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء»[(١)] .

ويقول : «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»[(٢)] .

٥ ـ ومن باب تنمية النظافة : أنه أمر بنظافة المساجد، وتطييبها، لأنها بيوت الله، وملتقى المسلمين فيجب أن تكون صالحة للعبادة، ولاجتماع المسلمين .

قالت عائشة رضي الله عنها : «أمرنا رسول الله ﷺ ـ ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيّب»[(٣)] .

وقال ﷺ : «عرضت عليّ أعمال أمتي حسنها، وسيّئها، فوجدت في محاسن أعمالها : الأذى يماط عن الطريق؛ ووجدت في مساوىء أعمالها : النخامة تكون في المسجد، لا تدفن»[(٤)] .

كما أمر بنظافة البيوت، وعدم التشبه باليهود، لأن الإنسان يقضي فيها جل أوقاته، فهي محل راحته، ونومه، وغذائه .

يقول ﷺ : «إن الله جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود»[(٥)] .

وكذلك حذّر من إلقاء القاذورات على باب الجيران .

٦ ـ ومن باب تنمية النظافة، منع الإسلام من استعمال الماء النجس

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه النسائي، وابن ماجه .
(٣) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والترمذي .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه الترمذي .

وحرّمه، سواء كان ذلك في الشرب، أم في الطبخ، أم في الغسل، أم في النظافة ومنع كذلك من استعمال الماء الذي تغير طعمه، أو لونه أو ريحه في النظافة، وإزالة النجاسة.

كما حرّم الشرع أكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله، والمنخنقة، والموقوذة، وما أكل السبع، وكلها في حكم الميتة.

وجاء النهي عن التبول في الماء الراكد، أي الذي لا يجري، لأن الناس سيستفيدون منه، ولأنه بذلك ينجس، فلا يصح استعماله بعد ذلك.

قال ﷺ: «لا يبولنّ أحدكم في الماء الدائم، الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه»[١]، وفي رواية لمسلم: «نهى رسول الله ﷺ أن يبال في الماء الراكد».

وأمر بنظافة الأماكن العامة التي يستفيد منها المجتمع، وينتفعون بها، وحذّر من التغوط، أو التبول فيها، فقال: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»[٢].

- ومن باب تنمية النظافة، كان ﷺ إذا عطس، غطى وجهه بيده، أو ثوبه، وغضّ بها صوته»[٣].

فهو المعلم، والمرشد الذي يعلم الناس ما ينفعهم في دينهم، ودنياهم.

وكذلك نهى عن التنفس داخل الإناء، أو النفخ فيه عند الشرب[٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه.

(٣) رواه الترمذي، وأبو داود. وهذا ما ينصح به الأطباء اليوم.

(٤) رواه الترمذي.

وأمر بالمضمضة بعد شرب اللبن، فعن أم سلمة مرفوعاً: «إذا شربتم اللبن، فمضمضوا، فإن له دسماً»[١].

وأمر بغسل اليدين قبل الأكل، وبعده، فقال ﷺ: «من بات، وفي يده غمر، ولم يغسله، فأصابه شيء، فلا يلومن إلا نفسه»[٢].

وكذلك أمر القائم من نومه أن يغسل يده ثلاثاً.

٧ ـ ومن باب تنمية النظافة أمره ﷺ بتغطية الأواني خشية أن يقع فيها ما يضر بصحة الإنسان، قال ﷺ: «إذا كان جنح الليل، أو أمسيتم، فكفوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل، فخلوهم وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليه عوداً، وأطفئوا مصابيحكم»[٣].

وقال أبو حميد الساعدي: أتيت النبي ﷺ ـ بقدح من لبن من النقيع، ليس مخمراً مغطى، فقال: «ألا خمرته! ولو أن تضع عليه عوداً»[٤].

٨ ـ ومن باب تنمية النظافة: نهى الإسلام عن جماع الحائض والنفساء إلى أن تطهر، وذلك لقذارة الموضع ولما يجلب من أمراض.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والترمذي.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

(٥) البقرة، آية ٢٢٢، وانظر مؤلفنا (موسوعة العلم الحديث).

الفصل الثامن

التنمية في مجال التربية

أولاً: تعلم العلم ونشره.

ثانياً: التربية في الإسلام مستمرة، ويحياها المسلم في جميع أوقاته.

ثالثاً: دور الصيام في التربية.

رابعاً: تربية الضمير في الإنسان المسلم.

الفصل الثامن

التنمية في مجال التربية

التربية في الإسلام، أهم ما يميزها عن غيرها، هي أنها من صنع الخالق تبارك وتعالى، ومن توجيهات نبيه الكريم، فهي ليست كغيرها من التربيات التي من صنع البشر، فهناك فارق كبير، والبون شاسع بينهما، ولا مقارنة بينهما!!

فبينما التربية في الإسلام من صنع الخالق تبارك وتعالى، وتوجيهات نبيه الذي لا ينطق عن الهوى لا تعتريها الإجتهادات الخاطئة، ولا الظنون، وكلها حق، وصواب، وهي صالحة لكل زمان، ومكان، نرى بالمقابل: أن التربية التي هي من وضع البشر تناقض بعضها بعضاً، وهناك تضارب فيما وضعوه نتيجة للإجتهادات الخاطئة، والآراء المتباينة.

تعريف التربية: (هي عملية واعية مضبوطة تؤدي لإحداث تغيرات في سلوك الفرد، وهي عملية مستمرة ضابطة لسلوك الفرد من ميلاده حتى مماته) وتُعرَّف التربية بأنها «العمل الذي تحدثه الأجيال الراشدة في الأجيال التي لم تنضج بعد النضج اللازم للحياة الإجتماعية»[(١)].

والتربية تحمل معنى التنمية كذلك.

أولاً: وتبدأ التربية في الإسلام في تعلم العلم، ونشره، لأنه الأساس في التربية.

---

(١) انظر كتاب «دراسات في علم الاجتماع» ص١١٠.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[(١)].

ويقول تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾[(٢)]، ويقول ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»[(٣)]، ويقول ﷺ: «كن عالماً، أو متعلماً»، والعلم، والتربية متلازمان، لا ينفصلان، وهما ضروريان للمجتمع.

ثانياً: والتربية الإجتماعية في الإسلام من ميزاتها: أنها مستمرة، ويحياها الفرد في جميع أوقاته، ويتفاعل معها، فينميها باستمرار في عباداته، وفي أخلاقه، وفي معاملاته.

فنلاحظ أن المسلم مرتبط دائماً بالصلوات التي هي عماد الدين، وهي لها غايات إجتماعية، وتربوية وهي تدل المسلم على الطريق المستقيم الذي يرضي خالقه، فهي تعرج بروحه إلى خالقه كل يوم خمس مرات يؤدي صلاة تلو صلاة، فهو على موعد دائماً مع ربه، وخالقه، ليناجيه، ويسأله، فهو في حصانة دائماً من أن ينحرف عن الطريق المستقيم، أو يسلك سلوكاً منافياً لتعاليم خالقه، ومربيه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[(٤)].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾[(٥)].

والأهداف الإجتماعية التي ينشدها الإسلام تتحقق في الصلاة: حيث يقف المسلمون صفاً واحداً، يؤمهم إمام واحد، قلوبهم متجهة إلى خالق واحد متجهين إلى قبلة واحدة، ودين واحد، فتتوحد قلوبهم، كما تتوحد صفوفهم، وهنا يحصل التآلف، والتآزر، والأخوة التي لا تنفصم.

---

(١) طه، آية ١١٤.
(٢) الزمر، آية ٩.
(٣) رواه ابن النجار وضعفه السيوطي.
(٤) النساء، آية ١٠٣.
(٥) العنكبوت، آية ٤٥.

ويأتي دور الزكاة لتؤلف بين القلوب، فيحصل التكافل الإجتماعي، والتضامن بينهم، ويطهر القلوب من البغض، والكراهية، والحسد، فيصبح المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد، بالسهر والحمى.

ثالثاً: كما يأتي دور الصوم، لينمي الإحساس عند الأغنياء بإخوانهم المحتاجين، كما أن الصوم يطهر النفس من غلوائها، وكبريائها، كما أن الصوم عبادة خالصة لله تعالى، لا يدخلها الرياء، وتطهر البدن من الشحوم الزائدة، ويحفظ الصحة، والبدن.

ويأتي دور الحج، هذا المجمع الكبير الذي يضم بداخله أعداداً مختلفي الألسن، واللغات، والغني والفقير، كلهم كالجسد الواحد، لا فرق بين ذاك وهذا يجمعهم الإسلام، ويبارك إخوتهم في الله، ويحصل التعارف بينهم والتكاتف، والتلاحم.

وإذا كانت العبادات، هي السبيل للترابط، وهي التربية الحقيقية التي تربي المسلمين، فهناك أيضاً الأخلاق الإسلامية، والآداب، توحد بين المسلمين، وتنمي الأخوة، وتزداد المحبة فيما بينهم فطريقة الإسلام في تنمية التربية معالجة هذا الكائن معالجة كاملة، شاملة، لا تغفل عن شيء فيه: جسمه، وعقله، وروحه، وحياته المادية، والمعنوية، وسائر نشاطه.

رابعاً: تربية الضمير وتنميته في الإنسان المسلم، هي الأساس وعليها مدار الأعمال، فإذا صلح الضمير، صلحت الأعمال وإذا فسد، فسدت الأعمال لقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾(١).

وقوله ﷺ: «إن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد

(١) الشمس، الآيات ٧ ـ ١٠.

كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

إذاً، تربية الضمير هي الأساس في الإنسان المسلم، وهي من أخطر المهام التي يتعلق بها مصيره من الخير والشر، ويتوقف عليها ضمان سعادته، وتماسك المجتمع من حوله.

وعليه فإن أي انحراف في المنطلق، سيؤدي حتماً في النهاية إلى الضياع، أو الهلاك.

فالإهمال في تربيته بعدم تنميته، إهمال لجميع الجسم. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[(١)].

إذاً، الضمير يحتاج دائماً وباستمرار للتنمية في تربيته من حين لآخر، وإيقاظه من غفلته، ليصحو، دائماً وباستمرار، إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم.

قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾[(٢)].

فالإيمان هو وحده، وبتنميته، هو الذي ينشىء في الإنسان المسلم ذلك الضمير الواجد الذي لا يعتريه الضعف، أو الانهزام، ولا يتغير، بتغير الزمان، والمكان، والأحداث، ولا يتكيف بحسب الأهواء، وما تشتهيه النفس، إنه دائم اليقظة، وتنبه مستمر لنوازع الشر والشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، لها أثرها البالغ في الإنسان، فإذا اتجهت إلى الشر، وأمرت صاحبها به، وسولت له، فالضمير حينئذ يهتز بداخله،

---

(١) الأنعام، الآيتان ٤٤ و٤٥.
(٢) البقرة، آية ١٠٨.

وفي أعماق قلبه، يحذّره، وينذره بالخطر، وسوء العاقبة، فإذا غُلب على أمره، وانحرف عن الحق والصواب، ووقع في المحظور، لم يستسلم لذلك الأمر، بل يعود إلى اللوم، والتأنيب، ويخلص في التوبة، والندم، لكي لا يكرر ذلك، أو يقع فيه مرة أخرى، وهذه هي النفس اللوامة التي أقسم الخالق تبارك وتعالى بها: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٣٥﴾(٢).

فتربية الضمير وتنميته من آن لآخر، هي تربية للجسم كله، وصلة الدين بالضمير، صلة هيمنة وتوجيه، وإرشاد، وسيطرة، وهي تستمر مدى الحياة، وإذا ما زالت هذه الهيمنة في أي فترة من الفترات، فإن الضمير، يختل توازنه، واتزانه، فيتأرجح، ويتذبذب، ولا يحصل له استقرار، إلا بالعودة إليه مرة أخرى.

فالضمير إذاً بلا إيمان ـ كما هو رأي الغربيين ومن سار في ركابهم ـ ما هو إلا خرافة، لا وجود له.

---

(١) القيامة، آية ٢.

(٢) آل عمران، آية ١٣٥.

الفصل التاسع

في مجال التنمية البشرية

١ ـ الإسلام شجّع على الزواج، وأباح التعدد وضيّق باب الطلاق.

٢ ـ أمر بالمحافظة على المولود بعد الولادة، حتى وهو في بطن أمه.

٣ ـ أساس التنمية البشرية مرتبط بالدين منذ ولادته وحتى آخر عهده بالدنيا.

الفصل التاسع
في مجال التنمية البشرية

الإسلام يدعو، ويأمر، ويشجع على تنمية عدد الأفراد في المجتمع الإسلامي، وكثرة النسل بالوسائل التالية:

١ ـ تشجيعه للزواج قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[(١)]، ويقول ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه، وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوه، تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»[(٢)].

٢ ـ أباح التعدد في الزواج، فأباح للرجل الواحد أن يجمع بين أربع نسوة. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾[(٣)].

٣ ـ اختيار الزوجة الصالحة الودود، الولود، قال ﷺ: «تزوجوا الودود، الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»[(٤)].

٤ ـ إذا حصل خلاف أو خصام بين الزوجين، فالإصلاح بينهم

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي، وأحمد.
(٣) النساء، آية ٣.
(٤) رواه أحمد، وابن حبان، وصححه.

واجب، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾(١).

٥ ـ ضيّق باب الطلاق، فلا طلاق، إلا بعد اليأس من الإصلاح، وسَدِّ جميع أبواب الصلح.

٦ ـ ومن ذلك أمر الإسلام بالمحافظة على الإنسان منذ ولادته، ومنذ نعومة أظفاره، فأوجب على أمه إرضاعه، والقيام بتربيته، ومهامه، وإزالة الأذى عنه، وأوجب على والده النفقة عليه إلى أن ينمو ويعتمد على نفسه، ويكون عضواً في المجتمع، يساهم في تنمية المجتمع، ويرقى به إلى المستوى اللائق به بين الأمم من حيث القوة، قوة البدن، والعقل، والعلم، والمنفعة، ورغد العيش، بل والحفاظ عليه، وهو في بطن أمه، فحرّم الإجهاض، واعتبر ذلك إجراماً يعاقب عليه القانون.

فالمجتمع الإسلامي، مجتمع تنمية دائماً، وباستمرار ومما يشجع على ذلك: أن الدين الإسلامي دين يجمع بين الدين، والدنيا، لا رهبانية فيه، وهما لا يتناقضان البتة، ولا ينفصلان عن بعضهما كالمجتمعات الأخرى.

وأساس التنمية البشرية مرتبط في الإسلام بدينه، وأخلاقه الكريمة، فنمو الإنسان منذ أن يخرج من بطن أمه، مرتبط بالعقيدة الإسلامية، ومرتبط بخالقه جل وعلا:

فالمولود في الإسلام عندما يولد، يؤذَّن في أذنه اليمنى، ويُقام في أذنه اليسرى، ليكون على صلة بخالقه ومربيه منذ ولادته، وظهوره إلى الدنيا، وحتى آخر عهد له في الدنيا.

فتنمية العقيدة الإسلامية في نفس الإنسان المسلم مستمرة، ودائمة،

---

(١) النساء، آية ٣٥.

لا تنقطع، ويوم سابِعِه يعقُّ عنه بشاتين إن كان ذكراً، وبشاة إن كان أنثى، ويذكر اسم الله على الذبيحة، ويُشكر الخالق على هذه النعمة، وهي خروج الولد من بطن أمه سليماً، معافىً.

فنمو الإنسان، مرتبط أساساً بنمو عقيدته الإسلامية وأخلاقه الإسلامية، لا ينفصلان، وإلا كان كالتمثال الأجوف، لا فائدة منه ترجى، وإن رصع ذلك التمثال بالجواهر الثمينة والحلي.

الفصل العاشر

التنمية في مجال المسؤولية

١ ـ مسؤولية الحاكم.

٢ ـ مسؤولية الرجل.

٣ ـ مسؤولية المرأة في بيتها.

٤ ـ مسؤولية الخادم، أو العامل.

٥ ـ مسؤولية العالم تجاه غيره من الناس.

٦ ـ مسؤولية الجار عن جاره.

٧ ـ مسؤولية الأغنياء عن الفقراء.

٨ ـ مسؤولية المسلم عن غيره من المسلمين عامة.

٩ ـ المسؤولية عن الحيوانات.

الفصل العاشر
التنمية في مجال المسؤولية

تمهيد:

المسؤولية من خصائص الدين الإسلامي، وهي تحمُّل المسؤولية تجاه الآخرين، وهي تتميز تماماً عن مسؤوليات البشر، وتتفرد: بأنها أساساً تنبع من ذات المسلم نفسه، ومن داخله، نتيجة لمراقبة الخالق جل وعلا، وخوفه منه تعالى، وطمعاً لما عنده من الأجر، والثواب، فلا أحد يفرض عليه من البشر، ولا يلاحقه في ذلك أحد، وهي قبل كل شيء تقوى لله تعالى، وعبادة يتقرب بها العبد إلى مولاه.

وهذا ما شهد به الأعداء أنفسهم.

والمسؤولية، وتنميتها في الإسلام ذات أهمية كبرى في حياة الأفراد والجماعات، وفائدتها عظيمة وشاملة تعم المجتمع بأكمله. والمسؤولية في الإسلام يتوقف عليها صلاح الأمة بأكملها، وفسادها بأكملها كذلك، فتصلح بصلاح الراعي، إذا صلح، وتفسد بفساد الراعي إذا فسد، وصلاح الراعي يتوقف عليه نفسه بحيث يحاسب نفسه في كل صغيرة، وكبيرة، ويعلم أنه محاسب، ومؤاخذ على تلك المسؤولية أمام الله تعالى، كما أن فساد الراعي عكس ذلك، ولكي يكون المجتمع مجتمعاً قوياً سليماً معافًى من الأمراض الإجتماعية، حمَّل الإسلام المسؤولية جميع الأطراف في المجتمع، ذكوراً، وإناثاً، رؤساء ومرؤوسين، عدا الصبي، والمجنون، لأنهما غير مكلفين.

وبإلقاء تنمية المسؤولية على جميع الأطراف يحصل التوازن في المجتمع الإسلامي، ويعلم كل مرء فيه أنه مؤاخذ، ومحاسب على ما يفعله، وما يفرط فيه، وما يكنه ضميره، ويتحقق الهدف الأسمى والوصول إلى الغاية التي ينشدها الإسلام، ويرمي إليها: وهي سلامة المجتمع من الأمراض الإجتماعية. وتنمية المسؤولية في الإسلام لا تقف عند حد معين، ولا زمان، أو مكان معين، وإنما هذه التنمية شاملة، وتنمّى في كل زمان، ومكان، وفي كل الأحوال.

وتنميتها: هي المحافظة على أدائها في موعدها المقرر له دون تأخير، أو تسويف، والعناية بها على الدوام والسهر على راحة أصحابها، بحيث يعطى كل ذي حق حقه، وإذا قصّر المسؤول، ولم يقم بواجبه خير قيام، فليبادر إلى تداركه حالاً، وإذا رأى حقاً أحسن من غيره، فليغره إلى الأحسن، والأفضل، والأمثل، والأحب إلى نفوس أصحابها على الدوام.

أساس تلك المسؤولية

أساس تلك المسؤولية قوله ﷺ: «كلّكم راع، ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع، ومسؤول عن رعيته، والرجل راع، ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت زوجها، وولده، ومسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده ومسؤول عن رعيته، ألا فكلكم راع، ومسؤول عن رعيته»[١].

---

(١) متفق عليه.

١ ـ تنمية المسؤولية على المسؤول الأول

وهو الحاكم، أو الملك، أو رئيس الدولة، ورئيس الوزراء، ومن في حكمهم، وكل من بيده سلطة فعلية، أو تنفيذية: كالوزير، والقاضي، ورئيس الدائرة، ومدير الجامعة، ومدير المدرسة... لكن المسؤولية الكبرى تقع على كاهل الحاكم للشعب فهو المسؤول عن الشعب، وبيده السلطة الكاملة، فهو المسؤول الأول عما يحصل لشعبه من خير، وشر، لأنه إذا صلح، صلحت الرعية، وإذا فسد، فسدت الرعية تبعاً له، فهو كالمرآة لشعبه ينظرون من خلاله إلى أفعاله، وأقواله، وسلوكه، فيقتفون أثره في كل شيء، ويقلدونه في كل شيء في الخير، والشر على حد سواء؛ فالحاكم في شعبه كالقلب في الإنسان بالنسبة للجسم وسائر الأعضاء، فإذا صلح، صلحت سائر الأعضاء، وإذا فسد، فسدت الأعضاء كلها.

فالحاكم مسؤولية عظيمة، وخطيرة للغاية، لذا تكون له المنزلة الرفيعة العظيمة يوم القيامة، إذا كان عادلاً يحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وتكون له المنزلة الوضيعة الأليمة، إذا كان مستبداً جباراً في الأرض، نابذاً لكتاب الله ولتعاليم نبيه ﷺ.

فإذا كان عادلاً بين الأمة، يسير على هدى الله ورسوله، ولا يحابي أحداً، ويجعل الناس سواسية في حكمه، لا يعرف قريباً، أو بعيداً، أو ذا جاه، أو ذا مال وثروة، فإن الله تعالى يكرمه يوم لا ينفع مال، ولا بنون جزاء له على ذلك بأن يظله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...»[١].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

فكان الإمام العادل أول من ميزه الله بهذه الميزة العظيمة.

والمسؤولية والعدالة بين الناس، تتجلى في أقصى صورها، وتتضح من حديث المخزومية: وهو أن المخزومية سرقت، ووصل الأمر إليه ﷺ، فقرر قطع يدها، وهناك التمس القوم شخصاً يستشفع لهم عند رسول الله ﷺ ـ بأن يصفح عنها، لأنها امرأة شريفة، ومن قبيلة معروفة، فلم يجدوا أمامهم من يجرؤ على الكلام معه سوى أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ـ فكلمه في ذلك، فما كان من رسول الله ﷺ ـ إلا أن وبخه على موقفه ذلك، ولم يكتفِ بذلك، ولكنه صعد المنبر، وأعلن للجميع: أن الناس في الإسلام سواء، لا يعرف شريفاً، ولا وضيعاً، وحذَّرهم من أن يقفوا ذلك الموقف غير العادل وقال: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم، إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها»(١).

فالتسلط على أموال الناس، وأخذها دون ما وجه حق، مما لا يجوز التسامح فيه، والتساهل، لأن في ذلك خطراً على الأفراد، والجماعات، والدولة.

وقد فهم تلك المسؤولية على حقيقتها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فعندما تولى أمر المسلمين، قام خطيباً، وقال: «قد وُلّيت عليكم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن، وسنّ النبي السنن فعلمنا... اعلموا: أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أيها الناس إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني».

---

(١) متفق عليه.

وقد تواترت الروايات: بأن أبا بكر قد أوصى بأن يُردَّ ما زاد في ماله بعد ولايته الحكم إلى الخليفة الذي يليه، فكان: أن وجدت أشياء: لا تزيد أثمانها على قليل من الدراهم، سلمت إلى عمر، فقال عمر: رحم الله أبا بكر، فقد أتعب من بعده.

أما عمر، رضي الله عنه، فقد بلغ من اهتمامه بأمور المسلمين، وتحمُّله المسؤولية، وزهده في الدنيا: أنه أمسك مرة بتبنة من الأرض، فقال: «يا ليتني هذه التبنة! يا ليتني، لم أكُ شيئاً، يا ليت أمي لم تلدني. ومن اهتمامه بالمسؤولية قوله رضي الله عنه، لو أن حَمَلاً، هلك ضياعاً بشط الفرات، لخشيت أن يسألني الله عنه.

وسئل عما يحل له من بيت المال، فقال: «يحل لي حُلتان: حلة في الشتاء، وحلة في القيظ، وما أحج عليه، وأعتمر من الظهر، وقوتي، وقوت أهلي، كقوت رجل من قريش، ليس بأغناهم. ولا بأفقرهم، ثم أنا بعدُ رجل من المسلمين، يصيبني ما أصابهم»[١].

وكان يلبس الثياب المرقعة، وكثيراً ما شوهد بتلك الثياب، وهو الخليفة الحاكم[٢].

٢ ـ تنمية المسؤول الثاني: الرجل في بيته

إذا كان رئيس الدولة المسؤول الأول عن المجتمع الكبير (الشعب)، والوزير مسؤول عن المجتمع الأصغر منه، ورئيس الدائرة عن

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٦.
(٢) طبقات ابن سعد، انظر مؤلفنا (المسؤولية في الإسلام).

الذي أصغر من الوزارة، فإن الرجل رب الأسرة، مسؤول عن مجتمعه الصغير الذي يشرف عليه: عن والديه، وأولاده، وزوجته وخدمه.

أولاً: المسؤولية عن الوالدين: فيجب عليه العناية التامة بهما، إذا كبرا، وأَسنّا، وعجزا عن إدارة شؤونهما، كما تجب النفقة عليهما، إذا كانا في حاجة إلى ذلك، والسمع، والطاعة لهما، وإكرامهما في اليسر، والعسر، وعدم التأفف والتضجر منهما.

قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾(١).

وحق الوالدين لا يسقط، وإن كانا كافرين لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾(٢).

ثانياً: عن أولاده ما داموا صغاراً: فيجب عليه قبل كل شيء تربيتهم، وإيصال النفقة إليهم، بحيث لا يقصر عليهم في المأكل، والمشرب، والملبس والمسكن على قدر استطاعته، ودخله الشهري، وأن يبدي نحوهم العطف، والحنان بالتساوي لا يفضل بينهم، وهو مسؤول عن تعليمهم العلوم الناقصة، وفي مقدمة تلك العلوم، العلوم الدينية، وهو مسؤول عن توجيههم التوجيه الحسن، وعن تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، والمحافظة على الصلوات الخمس، والصيام، وتنشئتهم على حب الخير، والفضيلة، وبعدهم من الرذيلة، وإبعادهم عن كل ما شأنه تدمير العقيدة، والأخلاق الكريمة، وبيان الضار لهم من النافع، وبيان

---

(١) الإسراء، الآيتان ٢٣ و٢٤.

(٢) لقمان، آية ١٥.

الطريق السليم السوي، ليسلكوه في حياتهم، وبيان الطرق الهدامة، ليجتنبوها.

وعليه أن يعودهم على ذلك منذ نعومة أظفارهم، لكي يشبّوا على ذلك قال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر»[(١)]. وقال ﷺ في التأديب: «لأَن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع»[(٢)].

وقال ﷺ: «ما نحل والد ولده من نحل، أفضل من أدب حسن»[(٣)].

ويجب عليه: أن يبعدهم عن مجالسة أهل السوء والمشي معهم، والاختلاط بهم، ويحذّرهم من ذلك، فإنه كما قيل:

عن المرء لا تسأل، وسلْ عن جليسه فكل جليس بالمُجالس يقتدي

فالجليس، والقرين، لا شك أن له التأثير البالغ فيمن يجالسونه، ويترددون عليه، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كمثل صاحب المسك، وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك؛ إما أن تشتري منه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة»[(٤)].

وأن يعتنى خاصة بالبنات ويربيهن على الفضيلة، ويبين لهن طريق الرذيلة، لأن البنت، ستصبح أماً فيما بعدُ، وتربي أجيالاً، فيجب الاهتمام بهن والعناية التامة من الوقوع في المزالق المهلكة، قال ﷺ:

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم، وأبو داود.
(٤) رواه البخاري.

«من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن، وأحسن إليهن، دخل الجنة»[١].

وقال ﷺ: «من عال ثلاث بنات، وجبت له الجنة»، قيل: يا رسول الله، وواحدة؟ قال: وواحدة»[٢].

وليحذر الرجل من أن يجتمع في أولاده ثلاثة أشياء: الشباب، والغنى، والفراغ، لأن العاقبة وخيمة.

إن الشباب، والفراغ، والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

هذا بالنسبة للبالغ، فكيف بهذا الطفل الذي لم ينضج، قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[٣].

ثالثاً: وأما مسؤولية الرجل عن المرأة: فالرجل مسؤول عن النفقة عليها بالمعروف، وعدم التقصير في حقها على قدر استطاعته، وأن يعاشرها بالمعروف لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ والواجب القسم بينها، وبين ضرتها: في المبيت والكسوة، والنفقة، واحتمال الأذى منها، وأن يعلمها أمور دينها، والرجل كذلك مسؤول عن حجابها إذا خرجت من منزلها، ومسؤول عن كثرة خروجها إلى الأسواق، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن المرأة تُقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة، فأعجبته، فليأت أهله، فإن ذلك يردُّ ما في نفسه»[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرأة عورة،

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) التحريم، آية ٦.

(٤) أخرجه مسلم، وأبو داود، وأحمد.

فإذا خرجت استشرفها الشيطان»[١].

رابعاً: والرجل مسؤول عن حقوق ذوي القربى، والأرحام كالأخوة، والأخوات، والعم، والعمات، والخال، والخالات، وأولادهم، فيجب صلتهم بالمساعدة المادية إذا كانوا في حاجة إلى ذلك، وإلا فيصلهم بالزيارة والسؤال عن أحوالهم من حين لآخر، وعدم مقاطعتهم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣]. وجاء في الحديث: «الرحم معلّقة بالعرش، تقول من وصلني، وصله الله، ومن قطعني، قطعه الله»[٤].

وجاء في الحديث كذلك: «ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي، إذا قَطعت رحمه وصلها»[٥].

خامساً: وأما الخدم في المنزل، فالرجل مسؤول عن النفقة عليهم، وإعطائهم حقهم المادي المقرر لهم، ومسؤول عن تكليفهم من العمل ما لا يُطيقون، ومسؤول عن التقصير عليهم في المأكل، والمشرب، والملبس والراحة.

(١) رواه الترمذي، والطبراني.
(٢) النساء، آية ١.
(٣) الإسراء، آية ٢٦.
(٤) رواه الشيخان.
(٥) رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي.

٣ ـ تنمية مسؤولية المرأة في بيت زوجها

نوجز مسؤولية المرأة في بيتها فيما يلي:

١ ـ المسؤولية الأولى للزوجة القرار في المنزل، لكي تقوم بواجبها المنوط بها خير قيام: من تربية الأولاد، والقيام بمهام المنزل، والقيام بواجبات الزوج، ولا يحصل كل ذلك، إلا بملازمة البيت، والقرار فيه، وفي القرار في المنزل، وقار لها، وحشمة وحفظ لكرامتها.

ولا يعني قولنا هذا حبسها بين أربعة جدران المنزل، فالمرأة تخرج إلى المسجد لأداء الصلوات الخمس في جماعة، وصلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء وزيارة الأهل، والأقارب، ولتمريض المرضى، إذا اقتضت الضرورة، وتخرج لقضاء حوائجها، وشراء ما تحتاجه من ملابس، وزينة، ولكن الواجب عليها عدم الإسراف في ذلك، لأن القرار في المنزل هو الأصل بالنسبة للمرأة[(١)].

٢ ـ أن تؤدي حقوق زوجها على الوجه المطلوب، إذا دعاها إلى الفراش، وأن تعمل على راحته، وتدخل السرور عليه، وألا تؤذيه بلسانها، وأن تطيعه في غير معصية لقوله ﷺ: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئتِ»[(٢)].

٣ ـ أن تقوم بتربية الأولاد على أكمل وجه، والتربية ليست بالأمر السهل، ولا يمكن أن يقوم بها أحد سوى الأم، والأم وحدها، فالأم هي التي وضع الله فيها الحنان، والعطف، والقدرة على تلبية متطلباتهم

---

(١) انظر مؤلفنا «آداب الزواج والمعاشرة»، باب المرأة ومكانتها في الإسلام.

(٢) رواه أحمد، والبزار، والطبراني، وصححه السيوطي.

والصبر على أذاهم، وتحمل المشاق، والسهر في سبيل تربيتهم التربية الكريمة، ومن يقول غير ذلك، فقد خالف الفطرة، والواقع وخالف الصواب.

٤ ـ أن تحافظ على مال زوجها، وتصرف بالمعروف، ولا تصرف إلا ما تحتاج إليه في بيتها من الأكل، والشرب واللباس لها، ولأولادها وزوجها، فلا تبذر، ولا تقتر، وإلا سوف تكون مسؤولة أمام الله تعالى حتى على فنجان الشاي، والقهوة، وملعقة السكر! إذا ذهبت سدًى، وبدون فائدة.

٥ ـ لا يجوز للمرأة أبداً: أن تدخل أحداً في غياب زوجها دون إذن من زوجها، سواء كان قريباً، أم بعيداً.

٦ ـ أن تحافظ على عفتها، وكرامتها في غياب زوجها، وتبتعد عن كل مظان السوء، والريبة.

٧ ـ ألا تخرج من منزلها إلا بإذن زوجها مسبقاً.

٨ ـ أن تلتزم بالحجاب الشرعي إذا خرجت من منزلها، لأن في ذلك كرامة لها، وحشمة، ووقار، وأن تبتعد عن مخالطة الرجال، والبعد عما يسيء إلى سمعتها[١].

٩ ـ المرأة مسؤولة عن الخدم كذلك: عن حسناتهم، وسيئاتهم، وعن إعطائهم حقوقهم من الأكل، والشرب، واللباس، وأخذ الراحة من النوم، وغيره وإلا سوف تكون مسؤولة عنهم يوم القيامة، فكل من الرجل، والمرأة مسؤولان عن ذلك، وكل منهما مكمل للآخر في هذه المسألة.

١٠ ـ المرأة كذلك مسؤولة عن اختلاطها بالرجال من الخدم،

---

(١) انظر باب المرأة ومكانتها في الإسلام في كتاب «آداب الزواج والمعاشرة».

والسائقين، ومن في معناهم، فيجب المحافظة على نفسها، وعلى بناتها، وأطفالها. والشيء الملاحظ في زماننا هذا، الذي قلَّ فيه الوعي والتساهل، والخوف من الله تعالى: أن النساء، والبنات يعتبرن الخادم، أو السائق، كأحد أفراد الأسرة من الآباء، والأبناء، والإخوان، والأعمام، والأخوال، فيتساهلون في كثير من المواطن، بل قد تخلو البنت والمرأة بهؤلاء في المنزل، وفي السيارة وغير ذلك وهو محرم عليها لقوله ﷺ: «لا يخلونَّ أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما»(١).

وقال ﷺ: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»(٢).

والحمو: أخو الزوج وما شابهه من أقارب الزوج كابن العم وغيره.

فلتحذر البنت، والمرأة أشد الحذر من ذلك بل ويجب تحذير الأطفال من ذلك، فكم من حادثة وقعت ذهب ضحيتها أطفال أبرياء نتيجة التساهل، وعدم أخذ الحيطة، والحذر من ذلك وعدم المسؤولية.

٤ ـ تنمية مسؤولية الخادم والعامل

أما مسؤولية الخادم الذي يعمل في بيت سيده، فإنه مسؤول أمام الله تعالى عن ما أؤتمن عليه من أسرار، وفي يده وتحت حراسته، وفي رعايته من الأعراض، والأموال، والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم،

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن حبان.
(٢) رواه البخاري، وأحمد.

فالواجب عليه أن يؤدي واجبه المنوط به على أكمل وجه وأن يخلص فيه، وينصح لسيده، أو صاحب منزله، فالإحسان: أن تعبد الله، كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فهو يراك. ولقوله ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[١].

أما العامل الذي يعمل خارج المنزل، والذي وكل إليه عمل، أو أعمال، فإنه مسؤول عن عمله حتى يؤديه إلى صاحبه على أحسن وجه، وأن يقوم بواجبه خير قيام.

وأن ينصح في عمله، وأن يتقنه، وألا يفرط فيه وإلا سوف يكون مسؤولاً عن التقصير يوم القيامة لقوله ﷺ: «إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»[٢].

٥ ـ تنمية مسؤولية العالم نحو غيره من الناس

وتنمية المسؤولية هذه: أن مسؤولية العالم ليس لها مكان، ولا زمان محددان، بل صالحة لكل زمان ومكان، بالتعليم، والإرشاد، والنصيحة، والأمر بالمعروف، وتغيير المنكر.. ونوجزها بما يلي:

١ ـ الواجب عليه: أنه يعلم غيره مما علمه الله تعالى العلوم المختلفة، ونشرها بين الناس، وإلا سوف يكون مسؤولاً أمام الله تعالى يوم القيامة، قال ﷺ: «من طلب العلم، ليجاري به العلماء، أو ليماري

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي.
(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» وضعفه السيوطي.

به السفهاء، أدخله الله النار»[١].

٢ ـ نُصح أولي الأمر بالتي هي أحسن.

٣ ـ أن يكون قدوة لغيره في الأعمال الصالحة.

٤ ـ أن يكون بعيداً عن الرياء، والسمعة.

٥ ـ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

٦ ـ تنمية مسؤولية الجار عن جاره

ونوجزها بما يلي:

١ ـ الإحسان إليه لقوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٢].

وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره»[٣].

٢ ـ كفّ الأذى عنه، وعدم الإساءة إليه بقول، أو فعل، أو إشارة لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جاره»[٤].

٣ ـ احتمال الأذى إذا صدر منه ما يؤذي من قول، أو فعل، أو إشارة.

٤ ـ والصبر عليه، سيكون سبب الخلاص منه، فقد جاء رجل إلى

(١) رواه الترمذي.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.

النبي ﷺ يشكو جاره فقال له ﷺ: «اصبر»، ثم جاءه، فقال: «اصبر»، وفي الثالثة والرابعة قال له: «اطرح متاعك في الطريق، فطرحه، فجعل الناس يمرون به، ويقولون: مالك؟ فيقول: آذاني جاري، فيلعنون جاره، حتى جاءه وقال له: رُدَّ متاعك إلى منزلك، فإني لا أعود»(١).

٧ ـ مسؤولية الأغنياء عن الفقراء

أولاً: ليعلم الأغنياء: أن المال الذي بأيديهم، هو مال الله تعالى، وضعه أمانة في أيديهم، واستخلفهم فيه، ولا بد إذاً من طاعته سبحانه في تلك الأمانة، ووضعها في موضعها، وهي أن يضع ما فرضه الله تعالى في أيدي الفقراء والمساكين.. الأصناف السبعة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾(٢).

ثانياً: مسؤولية الأغنياء عن الفقراء، لا تتوقف عند حد إيصال الفقراء حقوقهم، بل حذّر كل التحذير من الإساءة إليهم، فحذر من المنّ، والأذى الذي يلحق بالفقير من الغني، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾(٣).

ثالثاً: جعل الصدقة، إذا كانت نفلاً خِفية، أفضل من العلانية،

(١) رواه أبو داود، وغيره.
(٢) التوبة، آية ٦٠.
(٣) البقرة، آية ٢٦٤.

لكي لا يتضرر الفقير برؤية الناس له، فكان المتصدق من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله».

رابعاً: وحذر من إنهارهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾[1] لأنهم في الواقع يطلبون حقهم الذي فرضه الله لهم؛ والفقراء عيال الله في أرضه، كما ورد في الحديث.

وإن كان لا بد من عدم إعطائهم حقهم لسبب، أو لآخر، فالكلمة الطيبة صدقة، كما جاء في الحديث.

٨ ـ مسؤولية المسلم عن المسلمين عامة

المسلم عليه مسؤولية كبرى تجاه أخيه المسلم. من ذلك:

١ ـ أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه في كل شيء يرجع إليه بالفائدة في الدنيا والآخرة، ويكره لأخيه ما يكره لنفسه، قال ﷺ: «لا يؤمنن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

٢ ـ أن يبدي له النصح، إذا استشاره في أمر من الأمور.

٣ ـ إذا كلفه بعمل، نصح له فيه، وقام به على أتم وجه.

٤ ـ إذا رأى منه اعوجاجاً في السلوك، أو تقصيراً في الواجبات، نصحه بالتي هي أحسن، وبيّن له الخير من الشر.

٥ ـ ومن مسؤولية المسلم تجاه أخيه عدم ظلمه، وعدم تسليمه لعدوه، ولا يخونه، ولا يخذله، ولا يحقره.

---

(١) الضحى، آية ١٠.
(٢) متفق عليه.

٦ ـ ومن مسؤوليته كذلك: نصره ظالماً، أو مظلوماً لقوله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً، أو مظلوماً»(١).

٧ ـ ومن مسؤولياته: ستره، إذا ما حصل منه هفوات، قال ﷺ: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله تعالى يوم القيامة»(٢).

٩ ـ المسؤولية عن الحيوانات

ليعلم الإنسان: أنه محاسب، ومؤاخذ على ما تحت يديه وتصرفه من الحيوانات، فيجب عليه الآتي:

١ ـ توفير الطعام، والشراب لها، وأن يقوم بواجبه خير قيام، كما أنه محاسب على التقصير في حقها.

٢ ـ حذّر من إيذائها سواء كانت مملوكةً له، أو لغيره، إنسياً أو وحشياً كان. قال ﷺ: «عُذّبت امرأة في هرة حبستها، حتى ماتت، فدخلت بها النار، لا هي أطعمتها، وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»(٣).

وقد نهى رسول الله ﷺ: «أن تصبر البهائم»(٤). وهي أن تحبس، وهي حية، لتقتل بالرمي ونحوه، وقد رأى ﷺ حماراً، قد وسم في وجهه فقال: «لعن الله الذي وسمه»(٥).

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه مسلم.

ورأى ﷺ قرية نحل، قد حرقها قوم، فقال: «من حرق هذا» قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذّب بالنار إلا رب النار»[١].

(١) رواه أبو داود بإسناد حسن.

الفصل الحادي عشر

في مجال تنمية شخصية المسلم

١ ـ عدم الخضوع، والتذلل لغير الله.

٢ ـ أن يكون عضواً في الجهاد، مع المسلمين.

٣ ـ إذا ما أضيم في أرض، هاجر منها.

٤ ـ أن يتسلح بنور العلم، والمعرفة.

٥ ـ أن يكون قوي الشخصية، قوي التفكير.

٦ ـ أن يرفع يده، ويمدها بالإنفاق، والعطاء.

٧ ـ أن يظهر رجولته، والمرأة تظهر أنوثتها.

٨ ـ أن يكون حذراً متيقظاً باستمرار.

٩ ـ أن يكون قوي العزيمة، والإرادة.

١٠ ـ أن يكون عضواً في لمِّ الشمل، ووحدة الكلمة.

الفصل الحادي عشر
في مجال تنمية شخصية المسلم

تمهيد:

الدين الإسلامي، دين عزة، وكرامة، لا يرضى للمسلم أن يخضع، أو يتذلل لمخلوق، مهما كان، ومهما كانت منزلته ومهما كانت شخصيته، فهو دائماً يريد منه أن يصبر ويتطلع إلى أوج الكمال، وأن يرتقي على سلم الكرامة، والمجد، والرفعة، والسؤدد.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٣].

وقال ﷺ: «الإسلام يعلو، ولا يُعلى عليه»[٤] فأراد الإسلام من المسلم: أن ينمّي شخصيته باتباع الأساليب التالية دائماً، وباستمرار.

١ ـ فأول ما أراد من المسلم: ألا يخضع، ولا يتذلل أو ينحني، أو يسجد لمخلوق مثله كالإنسان، فضلاً عن الحيوان والذي لا يعي ولا

(١) المنافقون، آية ٨.
(٢) آل عمران، آية ١٣٩.
(٣) آل عمران، آية ١١٠.
(٤) رواه الدارقطني.

يدرك، أو الجمادات، وأمره بأن يكون السجود، والخضوع، والتذلل لمن يستحق ذلك، وهو رب العزة الخالق العظيم، كما أمره بألا يتوجه بالدعاء إلا إليه، سبحانه وحده، يقول تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١]، ويقول ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[٢].

وما دام الدعاء هو العبادة، إذاً، العبادة لا تصرف إلا له سبحانه، لأنه هو الذي يملك النفع، والضر وحده، وبيده مقاليد الأمور.

ومن أركان الإيمان (الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى) فبذلك، يرفع المسلم عنه الذل، والاستعباد، والاستكانة، فلا يخاف من أحد، إلا منه سبحانه، ولا يتوجه إلا إليه، لذلك سماه (المسلم) لاستسلامه لأوامره، ونواهيه؛ ومن أجل ذلك: حرَّم على المسلم السحر، والشعوذة، والرقى[٣]، والتمائم[٤]، والتولة[٥]، والطيرة[٦]، والأوهام، والخرافات، والنذر، والذبح لغير الله، صيانة لكرامة المسلم، وطهارة لنفسه، ولئلا يلجأ لغير خالقه العظيم وحده.

٢ ـ ومن ذلك أمر المسلم: بأن يكون عضواً في صفوف المجاهدين، ليجاهد أعداء الإسلام، وجعله فرض كفاية لإعلاء كلمة الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٧]، وقال تعالى:

---

(١) غافر، آية ٦٠.
(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن.
(٣) الرقى: هي العزائم التي تقرأ على المريض من أسماء الشياطين.
(٤) التمائم: ما يعلق على الإنسان، لرد العين، والشر.
(٥) التولة: شيء يوضع لتحبيب الزوجة لزوجها.
(٦) الطيرة: التشاؤم من الغير، وغيره.
(٧) الحج، آية ٧٨.

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ﴾[٢].

فأمره بالجهاد مع إخوانه المسلمين جهاد كل من تسول له نفسه استعبادهم، أو إذلالهم، أو يحاول الوقوف في طريقهم، وهم ينشرون الدعوة للإسلام.

وأمر بالقوة، والاستعداد مع إخوانه المسلمين لأي طارىء يتهددهم من الخارج، فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[٣].

٣ ـ فالمسلم عندما يرى نفسه ذليلاً في أرض، أو مظلوماً، فإنه يتحتم عليه الهجرة إلى بقعة أخرى من الأرض، ليعيش فيها رافعاً رأسه، سعيداً كريماً حيث لا ذل، ولا هوان.

يقول الشاعر الحكيم:

فنفسك أكرمها، وإن ضاق مسكن ... عليك بها، فاطلب لنفسك مسكنا

ويقول آخر:

ولا يقيم بدار الذل يألفها ... إلا الأذلان: عير الحي والوتد

٤ ـ ومن باب تنمية الشخصية: أن يتسلح بالعلم، فيتعلم القراءة، والكتابة، ضد الجهل، والفقر، ويكفي أن أول سورة بمكة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾[٤] فأمر سبحانه بالقراءة مستعيناً بخالق القراءة، والكتابة، والقلم.

---

(١) التوبة، آية ٤١.
(٢) البقرة، آية ٢١٦.
(٣) الأنفال، آية ٦٠.
(٤) العلق، آية ١.

ويقول تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[(١)].

ويقول: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾[(٢)].

ويقول ﷺ: «فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم»[(٣)]، ويقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»[(٤)].

وما ذلك إلا لأن العالم يعبد الله على بصيرة، والجاهل يتخبط خبط عشواء، فأمر المسلم بأن يتتبع الحكمة، فأينما وجدها، عضّ عليها بالنواجذ.

قال ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها، فهو أحق بها»[(٥)].

ومما يدل على اهتمام الإسلام بالقراءة والكتابة: أن النبي ﷺ، آخذ عشرة من الأسرى في بدر، وجعل فداءهم تعليم عشرة صبيان من المسلمين القراءة، والكتابة.

والإسلام لم يجعل التعليم قاصراً على علوم الدين فحسب، وإنما أباح للمسلم أن يتعلم كل ما فيه منفعة لنفسه، وللمسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[(٦)]، فالنصيب الأوفر، هو تعلم العلوم النافعة، والفنون المفيدة، التي لا تتعارض مع الدين، بل إن من العلماء،

---

(١) المجادلة، آية ١١.
(٢) فاطر، آية ٢٨.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه الترمذي، وابن ماجه.
(٦) القصص، آية ٧٧.

من قال: إن تعلم العلوم الأخرى ـ كالهندسة والطب والكيمياء، وغيرها من العلوم ـ فرض كفاية على المسلمين، يقول الإمام أحمد بن قدامة المقدسي: «ولا يتعجب من قولنا إن الطب، والحساب من فروض الكفاية، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفاية، كالفلاحة والحياكة»(١)، قال العلامة ابن مفلح المقدسي: ظاهر كلام الأكثرين أن الكتابة، لا تكره للمرأة كالرجل، وذكره ابن عقيل في الفنون، وهو ظاهر المنقول عن الإمام أحمد رضي الله عنه قال في سنده عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ ـ وأنا عند حفصة، فقال: «ألا تعلّمين هذه رقية النملة، كما علّمتِها الكتابة»(٢) قال ابن مفلح: قال الأثرم قال إبراهيم: بهذا حدث، أو حدثت به أحمد بن حنبل، فقال: «هذا رخصة في تعليم النساء الكتابة» وما ورد من عدم تعليمهن، فلا يصح في ذلك شيء(٣).

ولم يأمر الإسلام المسلم بأن يتعلم لنفسه، فحسب، بل أوجب عليه أن يعلّم غيره ما تعلم، فعليه أن يستفيد، وأن يفيد، وأن يتعلم، ويعلم غيره، وإلا سوف يكون مسؤولاً عن علمه، ومؤاخذاً على كتمانه. قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»(٤).

وقال: «من سئل عن علم، فكتمه، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»(٥).

---

(١) مختصر منهاج القاصدين.

(٢) ورواه أيضاً النسائي، وأبو داود، والطبراني، والنملة: قرح يخرج في الجنب، يؤلم كثيراً، ويحسّ صاحبه في مكانه كأن النملة تدب عليه، وتعضه، وهذا هو التفسير الصحيح للنملة.

(٣) الآداب الشرعية ٣/ ٣١٠.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

لأن الإسلام يريد بذلك أن يشمل العلم الجميع، وأن تعم الفائدة كل فرد في المجتمع.

٥ ـ والإسلام يريد من المسلم دائماً أن يكون قوي الشخصية، قوي التفكير، قوي الجسم، قوي الحركة، قوي العقيدة، لا يخاف، ولا يهاب من أحد إلا من الله تعالى وحده.

قال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، إحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، لكان كذا، ولكن قل: قدّر الله، وما شاء فعل، فإنّ «لَوْ» تفتح عمل الشيطان»[(١)].

أ ـ فالإسلام يأمر المسلم بأن يكون قوياً في جسمه، فيحافظ على صحته، باختيار الأكل، والشراب النظيف النافع المناسب له، وأن يحافظ على النظافة العامة، لأن عدم النظافة يسبب له الأمراض، وبالتلو يضعف الجسم فلا يقوم بواجبه خير قيام، فيقوّي جسمه، لكي يستعمله في الأوقات المطلوبة، فلا يرضى الإسلام للمسلم الذل، والخمول، يدوسه الناس بأقدامهم، وهو مستسلم لهم، وقد صح أنه ﷺ ـ صارع «ركانة» وقد اشتهر بالقوة، فصرعه النبي ﷺ ـ أكثر من مرة.

ب ـ أن يكون قوياً نشيطاً في حركاته، وأن يسعى، ويكتسب، ويجد، ويجتهد في طلب الرزق الحلال على نفسه، وعلى أولاده، وأهل بيته يقول تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[(٢)]، ويقول ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الملك، آية ١٥.
(٣) رواه البخاري.

ويقول: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان به صدقة»[١]، وقال ﷺ: «من أمسى كالاً من عمل يده، أمسى مغفوراً له»[٢].

وجاء في الحديث: «إذا قامت القيامة على أحدكم وفي يده فسيلة، فليغرسها»[٣].

هكذا يحبذ الإسلام، ونبي الإسلام العمل، ويباركه، حتى ولو في آخر لحظة من حياة الإنسان، فإن لم يستفد من ذلك العمل، فسوف يستفيد غيره منه فيحصل له الأجر، والثواب.

وجاء في الحديث: خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كَلّاً[٤] على الناس»[٥].

لذلك شدّد على المتسول الذي يمد يده للناس دون ما حاجة ماسة، فحرَّم عليه المسألة، وهو قادر على العمل، والحركة.

قال ﷺ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى، وليس في وجهه مزعة لحم»[٦]، وقال: «من يسأل الناس تكثراً، فإنما يسأل جمراً»[٧]، وقال: «لأن يأخذ أحدكم حبله، ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره، فيبيعها، فيكفّ الله بها وجهه، خير من أن يسأل

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط وضعفه السيوطي.
(٣) رواه البخاري، وأحمد.
(٤) كلّاً: عبئاً على الناس.
(٥) رواه الخطيب في تاريخه.
(٦) متفق عليه.
(٧) رواه مسلم.

الناس، أعطوه، أو منعوه»[١].

وعن عبد الله بن عدي بن الخيار «أن رجلين حدثاه أنهما أتيا رسول الله ﷺ يسألانه من الصدقة، فقلب فيهما النظر، فرآهما جلِدين، فقال: إن شئتما، أعطيتكما، ولاحظ فيها لغنى، ولا لقوى مكتسب[٢]»، من أجل ذلك أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أهل الصفة[٣] بأن يغادروا المسجد، ويسعوا، كما يسعى الناس لأرزاقهم، ولم يرضَ لهم بأن يبقوا على تلك الحال، يعيشون على بقايا الناس من الأكل، والشرب، واللباس.

وقال رضي الله عنه : لا يجلس أحدكم في بيته، ويمد يده إلى السماء، ويقول: يا رب! يا رب! ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً، ولا فضة، وإنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض.

فلا بد من الأخذ بالأسباب في العمل، وطلب الرزق، لذلك قال سبحانه لمريم عندما جاءها المخاض: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾[٤].

ومعلوم أنه لو اجتمع عدة رجال أقوياء، وهزوا جذع النخلة، لما استطاعوا هزها، ولكنه سبحانه أمرها بأن تباشر السبب، وبقية إيجاد الرزق عليه سبحانه.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي.
(٣) أهل الصفة: جماعة فقراء كانوا على عهد رسول الله ﷺ، كان مقرهم المسجد وكان الناس يبعثون إليهم ما يفيض عن حاجتهم من الطعام، والشراب واللباس.
(٤) مريم، آية ٢٥.

ج ـ كذلك كره للمسلم أن يكون تابعاً لغيره في تفكيرهم، وفي آرائهم، وإنما عليه أن يفكر، وأن يمحّص، وأن يستنتج.

قال ﷺ: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحْسَنّا، وإن ظلموا، ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا، فلا تظلموا»[(١)].

وجاء رجل إلى عمر، ليشهد، فقال: ائتني بمن يعرفك، فأتاه برجل، فشهد له بالخير، قال: أنت جاره؟ قال: لا، قال: أنت رفيقه في السفر؟ قال: لا، فقال: عاملته بالدرهم، والدينار؟ قال: لا! قال: أظنك رأيته قائماً في المسجد يهمهم في القرآن يخفض رأسه، ويرفعه، قال: نعم، قال: اذهب، فلست تعرفه»[(٢)].

د ـ ومن باب تنمية شخصية المسلم ألا يتظاهر بالخضوع، والتماوت، والاستكانة، والذل في غير محلها، فقد رأى عمر رضي الله عنه ـ رجلاً يظهر النسك، والتماوت، فخفقه بالدرة، وقال: لا تمت علينا ديننا، أماتك الله.

٦ ـ ومن باب تنمية شخصية المسلم أن الإسلام أراد من المسلم أن يرفع يده، وأن يمدها بالإنفاق والعطاء، والجود، والإحسان على نفسه، وأولاده، ومن يعولهم وذوي الأرحام، والقربى، والمساكين، وذا الحاجة. يقول ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة، والسفلى السائلة وابدأ بمن تعول»[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) ليس هذا قدحاً فيمن يلازم المسجد، ويصلي ويقرأ، فذلك مطلوب من المسلم، لكن يجب التثبت في أداء الشهادة من صاحبها.

(٣) متفق عليه.

وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم اعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعطِ ممسكاً تلفاً»[١].

فلا يكون المسلم عبداً للمادة، وأسيراً لها، تتحكم فيه وتسيره، بل هو الذي يسيرها، ويضعها حيث يشاء الله تعالى ولا يكون حارساً للمال، ولكن عليه أن يجعل المال حارساً له، ويقول رسول الله ﷺ محذراً من عبادة المادة، والاستسلام لها: «تعس عبد الدينار، وتعس عبد الدرهم، والقطيعة، إن أُعطي، رضي، وإن لم يُعْطَ، لم يرضَ»[٢].

فالبخل والشح يتنافيان مع الإيمان، فالإيمان بالله يُقوّي في المؤمن روح البذل، والعطاء، والإنفاق، لأنه يعلم علم اليقين أن هذا المال جاء من عند الله، وهو الذي يسره له، وهو قادر على أن يمحقه أو أن يبقيه في يده، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[٣] وكم من بخيل بماله، جمع الأموال الطائلة وكدَّسها، فمات وتركها لغيره، يعبثون فيها، ويضعونها في غير موضعها بعد أن حرم نفسه، وأولاده، والمحتاجين منها.

فهذا شأن البخيل، إن أعطاه الله، أمسك وصار يعبد المادة، وإن لم يعطه، سخط على الله، وتضجر، واعترض عليه سبحانه.

وهذا الحديث نظير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ....﴾[٤].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) سبأ، آية ٣٩.
(٤) الحج، آية ١١.

ولكن يجب أن يكون ذلك الإنفاق، والعطاء في الحدود التي رسمها الله له، فلا يتعداها إلى الإسراف المذموم والتبذير، فذلك شر، وعاقبته وخيمة.

وكنز المال قد حرّمه الشرع، والاكتناز هو تجميد المال، وحبسه، بحيث لا يستفيد منه الشخص نفسه، ولا يستفيد منه المجتمع.

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾(١).

فالاكتناز له مضاره الإقتصادية، والأخلاقية في حق الفرد، والجماعة، لأن صاحبه، لم يسهم في المشروعات الإنتاجية، لينمي بذلك ماله، ويستفيد منه العاطل عن العمل، والفقير، والمسكين.

٧ ـ ومن باب تنمية الشخصية، أن الإسلام أراد من الرجل أن يكون رجلاً، بمعنى أن يظهر قوته، ورجولته، وشخصيته التي خلقه الله عليها.

ومن المرأة أن تكون أنثى، بمعنى تظهر أنوثتها التي وضعها الله فيها، وخلقها فيها، قال ﷺ: «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»(٢).

وقد أُتي ـ ﷺ ـ بمخنث قد خضب يديه، ورجليه بالحناء، فقال رسول الله ﷺ: «ما بال هذا؟» قالوا: يتشبه بالنساء، فأمر به، فنفي إلى النقيع، فقيل: يا رسول الله! ألا نقتله؟ فقال: «إني نُهيت عن قتل

---

(١) التوبة، الآيتان ٣٤ و٣٥.

(٢) رواه البخاري.

المصلين»[١].

ولهذا السبب حرم الشارع على الذكور لبس الحرير، والتحلي بالذهب، فقال ـ ﷺ: «إن هذين حرام على ذكور أمتي، حلٌّ لإناثها»[٢] من أجل أن يحتفظ الذكر برجولته وخشونته، ولا يتعود على النعومة، والميوعة.

ومن أجل ذلك كان ـ ﷺ ـ يشجع على الرمي بقوله: «أَلا إن القوة الرميُ وألا إن القوة الرمي»[٣].

وكان ﷺ ـ يمر على أصحابه في حلقات الرمي، فيشجعهم، ويقول: «ارموا، وأنا معكم»[٤] وقال: «عليكم بالرمي، فإنه من خير لهوكم»[٥]، وقد أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ المسلمين بأن يعلموا صبيانهم الرمي، وركوب الخيل، والسباحة، لكي ينشأوا، ويتربوا، ويعتادوا الرجولة، والخشونة، والفروسية منذ نعومة أظفارهم.

٨ ـ ومن باب تنمية شخصية المسلم: أراد الإسلام للمسلم أن يكون حذراً متيقظاً نبيهاً، ينظر دائماً إلى الأمام، وكره له التسرع في الأمور، لئلا يقع في الشراك والشباك، وأمره بالتأني، والتؤدة قال ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»[٥]. فإذا كان الإسلام يأمر المسلم بأن يكون طيب القلب، حسن النية نحو من يستحق ذلك، وفي أماكن مخصوصة، فإنه كذلك يأمره بألا ينساق انسياق الأعمى الذي يقوده

(١) رواه أبو داود. والنقيع: موضع ببلاد مزينة.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه الطبراني، والبزار.

غيره، بل عليه أن يدرس الناس وأخلاقهم، وأن يفحصهم، ويجرّبهم، لأن الناس ليسوا على درجة واحدة، ولا مستوى واحد، فمنهم الأمين، ومنهم المخلص، ومنهم اللئيم، ومنهم المنحط، ومنهم الفتان، ومنهم الكائد..

وليس معنى ذلك أن يسيء الظن بالناس يقول تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1] لكن عليه أن يحذر، وأن يتوقّى لكي لا يقع في الشراك، والمكيدة فلا يغتر المسلم بالمظاهر، فإذا وقع مرة في حفرة، فليحذر من أن يسقط فيها مرة أخرى، أو إذا لدغ من جحر، فلا يدخل يده فيه مرة أخرى، بمعنى أنه، إن أساء إليه شخص، فليحذر من ذلك الشخص، وليتوقّ منه مرة أخرى.

وعلى المسلم ألا يتسرع في الأمور، بل عليه بالتؤدة، والتأني، والتفكير العميق، فإذا أراد فعل شيء، أمره بالإستخارة، فيصلي ركعتين، ويدعو سبحانه، فإذا انشرح صدره لذلك الأمر، فليمضِ، وإلا فليستخرْ مرتين، أو ثلاثاً، فإذا انشرح صدره لذلك الأمر مضى فيه، وإلا فليعدل.

وفائدة الإستخارة التأني، والتروي في الأمور، وإفساح المجال أمامه، لكي يفكر، ويتدبر الأمر، فلا يندفع اندفاعاً، ثم بعد ذلك يتأسف ويندم. كما أمره، لنفس الغرض، بأن يستشير الأصدقاء ومن يكبره سناً، وخبرة، وعلماً، وفهماً، ومراساً، فلعله لا يعرف الطريق الصحيح، فيدله المستشار، أو يتضح له طريق آخر، لم يكن يعرفه.

يقول ﷺ: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد»[2]، وقال: «التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل

---

(١) الحجرات، آية ١٢.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط.

الآخرة»[١]، وقال لأشج بن عبد القيس «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة»[٢].

٩ ـ ومن باب تنمية شخصية المسلم، أن الإسلام أراد منه، أن يكون قوي العزيمة، قوي الإرادة متطلعاً إلى الأمام، ولا مانع من المغامرة في سبيل الشرف، والعزة، والكرامة.

إذا غامرتَ في شرف مرومِ   فلا تقنعْ بما دون النجوم

وأمره بالمثابرة، والصبر إلى النهاية، يقول تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[٤]، ويقول سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[٥]، ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[٦]، وقد يبتلي الله تعالى المؤمن، ليمحّصه، ويختبره، وليعلم مدى صبره على المكاره، والشدائد، يقول تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[٧].

ويقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه مسلم.
(٣) النحل، آية ٩٦.
(٤) الزمر، آية ١٠.
(٥) العصر، آية ٣.
(٦) آل عمران، آية ١٤٢.
(٧) آل عمران، آية ١٤١.

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[١]، وجاء في الحديث: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»[٢]، وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله عز وجل إلا لعبد كريم عنده.

وكان بعض العارفين، في جيبه، رقعة يخرجها كل ساعة فيطالعها، وفيها: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾[٣]، قال العارف بالله:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرِجت وكنت أظنها لا تُفرج

والصبر ضربان: أحدهما: بدني كتحمل المشاق بالبدن كالأعمال الشاقة من العبادات، وغيرها.

الثاني: هو الصبر النفساني عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى.

وقد اجتمع ليوسف عليه السلام في محنته أنواع الصبر. ولا ينال المؤمن ما يتمناه بدنيا وأخرى، إلا بعد الامتحان والفحص، والتمحيص، والمثابرة، والاعتماد على الله تعالى بالصبر، وبخاصة النصر، فإن الانتصار يحتاج إلى جهاد طويل، وصبر عظيم، حتى يتحقق لصاحبه.

١٠ ـ ومن باب تنمية شخصية المسلم كذلك أن الإسلام دعاه لأن يكون عضواً فعالاً في المجتمع الإسلامي بأن يدعو إلى لمّ الشمل، ووحدة الكلمة، ولم يسبق لدين من الأديان السماوية، أو الوضعية أن حضَّ على جمع الصفوف، ورغب في توحيد الكلمة، ولمّ الشمل، مثلما حضَّ الإسلام على ذلك، ورغب فيه، وحذّر من الفرقة، وشتات الكلمة،

---

(١) البقرة، الآيتان ١٥٥ و١٥٦.

(٢) متفق عليه.

(٣) الطور، آية ٤٨.

ولكن بشرط أن يكون ذلك تحت راية الإسلام، وباسم الإسلام، وإلا لا فائدة من تلك الوحدة، أو ذلك الاتحاد، فكم من وحدة قامت على العنصرية، أو اجتمعت على الظلم، أو على الهدم، والتخريب، أو لأغراض شخصية، كلها باءت بالفشل الذريع، ولم يكتب لها النجاح، لأن أي وحدة لا تقوم على هذا الأساس (أساس الدين) لا فائدة منها ترجى، فأجلها قصير، ومداها قريب، وترجع على أصحابها بخيبة الأمل الذريع.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[(٢)]، وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[(٣)].

ويقول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(٤)]، ومن أجل ذلك أمرهم بإصلاح ذات البين، والمسارعة إلى ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[(٥)].

ويقول ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»[(٦)]، وقال ﷺ مهدداً ذلك الشخص الذي يشذ عن الجماعة، ويتّبع هواه، ومنذراً

---

(١) آل عمران، آية ١٠٣.
(٢) الأنفال، آية ٤٦.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم، وأحمد.
(٥) الحجرات، آية ٩.
(٦) رواه الترمذي، وصححه.

إياه بالخطر الذي يتهدده: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[١]، ويقول: «يد الله مع الجماعة، ومن شذت في النار»[٢].

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه الترمذي، وهو صحيح.

الفصل الثاني عشر

في مجال تنمية النصيحة

١ ـ النصيحة لله تعالى.

٢ ـ النصيحة لكتابه.

٣ ـ النصيحة لنبيه ﷺ.

٤ ـ النصيحة لأئمة المسلمين.

٥ ـ النصيحة لعامة المسلمين.

الفصل الثاني عشر
في مجال تنمية النصيحة

قال ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟، قال: لله، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١]، هذا الحديث هو الأساس، أو القاعدة في مجال النصيحة.

وبهاتين الكلمتين يستطيع المسلم أن يكون كامل الدين، إذا ما عمل بمقتضاهما، ونصح.

قال النووي رحمه الله تعالى: هذا الحديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام، وأما ما قاله جماعة من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام، أي أحد الأحاديث الأربعة التي يدور عليها الإسلام، فليس كما قالوا، بل عليه مدار الإسلام.

وقال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له، ومعنى الإخبار عن الدين بها أن عماد الدين وقوامه النصيحة[٢].

ومعنى تنمية النصيحة حرص المسلم على أداء عمله بإتقان بحيث يؤدي إلى الأحسن، والأفضل، والأمثل، وأن يقوم به على أتم وجه، وبالتمام، والكمال، تاماً غير منقوص لقوله ﷺ: «إن الله يحب أحدكم

(١) رواه مسلم.
(٢) شرح مسلم، ٢/ ٢٧.

إذا عمل عملاً أن يتقنه»[(١)] وإليك البيان:

١ ـ النصيحة لله سبحانه هي:

ألا يشرك العبد مع الله أحداً، والإخلاص التام في العبادة، من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، بل كل عمل يؤديه العبد لله تعالى مصحوباً بالنية، قاصداً به وجه الله تعالى، فهو عبادة، بحيث لا يشوب ذلك شائبة من رياء، أو سمعة، أو تقصير، وأن يجاهد في الله حق جهاده، فيغير المنكرات بيده، أو بلسانه، أو بقلبه، وذلك أضعف الإيمان لقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[(٢)].

٢ ـ ومعنى النصيحة لكتابه هي:

التأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وأن يُعظَّم، وأن يتلى حق تلاوته. وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن[(٣)].

٣ ـ ومعنى النصيحة لرسوله هي:

اتباع هديه، والتخلق بأخلاقه، والدعوة الجادة إلى سنته، والذّب عنها، وحب من يحبه، وبغض من يبغضه، وأن يحبه أكثر من نفسه، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عمر: كنا مع رسول الله ﷺ، وهو آخذ بيد عمر، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان.
(٢) رواه أحمد، ومسلم، والأربعة.
(٣) رواه البخاري.

نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»[١].

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين»[٢]، وجاء في الحديث: «ثلاث من كن فيه، وجد حلاوة الإيمان وطعمه، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة، فيقع فيها، أحب من أن يشرك بالله شيئاً»[٣]، قال النووي في شرح مسلم: قال ابن بطال والقاضي عياض، وغيرهما رحمة الله عليهم: المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام، كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة، كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان، كمحبة سائر الناس، فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته.

٤ ـ ومعنى النصيحة لأئمة المسلمين:

وهم الحكام فهي إرشادهم إلى الحق، ونصحهم بالرفق، واللين، وطاعتهم في غير معصية، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٤].

٥ ـ ومن باب تنمية النصيحة للمسلمين هي:

أن تهتم بأمر أخيك المسلم، وشؤونه، كما تهتم بأمرك وشؤونك الخاصة، فإذا رأيت أخاك مثلاً سيسقط في حفرة، أو أن حريقاً يتهدده من بعيد، أو قريب، فإنه لا يمكنك أن تقف موقف المتفرج، فلا بد إذاً أن تمد يدك، لتنقذه، أو على الأقل تنبهه للخطر الذي ينتظره، ويتهدده، فكذلك الحال إذا ما قصّر في واجبات الله، أو ارتكب منهياته، فعليك أن

---

(١) رواه البخاري.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه، ورواه أحمد والترمذي، والنسائي.
(٤) النساء، آية ٥٩.

تنصحه بالتي هي أحسن، وتبين له الصالح من الطالح، والمصلحة من المفسدة وأن تحب له كما تحب لنفسك، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١].

ويقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢].

ويقول: «إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى به أذى، فليمطه عنه»[٣].

ومعنى ذلك أن المؤمن للمؤمن، كالمرآة التي تنعكس عليها الصورة فيرى الإنسان من خلالها ما علق على وجهه من أقذار، فيزيله في الحال، وليس من المصلحة الدينية، أو الاجتماعية، أو الإنسانية، أن تترك أخاك المسلم، يتخبط خبط عشواء، أو يمشي في متاهات بعيدة، لا أول لها ولا آخر!!

وإليك هذا المثل الرابع العظيم، الذي أراد به ﷺ: أن يقرب هذا الأمر إلى أذهان العقلاء، المتبصرين.

يقول ﷺ: «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها، إذا استسقوا من الماء، مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أننا خرقنا من نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ من فوقنا، فإن تركوهم، وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا جميعاً[٤]»، فلا بد إذاً من توجيه الضالين عن الطريق السوي، المنغمسين في الملذات، والشهوات، والمقصرين في أداء الفرائض، والواجبات إلى ما فيه

---

(١) الحجرات، آية ١٠.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذي، والنسائي، وأحمد والحاكم.
(٤) متفق عليه.

صلاحهم، وسلامتهم، فصلاحهم، صلاح للمجتمع أجمع.

ومعنى القائم على حدود الله: المتبع لأمر الله المجتنب لنواهيه.

ومعنى الواقع فيها: التارك لأوامره المرتكب لنواهيه. ومعنى استهموا: اقترعوا على السفينة، فكان أعلاها لأناس، وأسفلها لأناس آخرين.

ويقول ﷺ: «انصر أخاك ظالماً، أو مظلوماً، قيل: يا رسول الله، عرفنا كيف ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصرة له»[١].

فالسكوت على المنكر مضرة على الجميع، وليست تلك المضرة قاصرة على فاعلِ المنكر، يقول تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[٢].

ومن خصال اليهود الذميمة أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وقد لعنهم الله تعالى لهذه الصفة الذميمة، حيث قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[٣].

---

(١) رواه أصحاب السنن.
(٢) الأنفال، آية ٢٥.
(٣) المائدة، الآيتان ٧٨ و٧٩.

الفصل الثالث عشر

في مجال التنمية الاجتماعية

١ ـ كهدف.
٢ ـ كأسلوب.
٣ ـ كعملية.

الفصل الثالث عشر
في مجال التنمية الاجتماعية

تعريف التنمية الاجتماعية: (إنها ذلك النشاط الذي يلمّ بكل التغيرات المنشودة لتحسين مستوى معيشة الأفراد عن طريق إشباع حاجاتهم الطبيعية، والاجتماعية المشروعة، كالحاجة إلى الغذاء، والصحة، والتعليم، والسكن، والثقافة، والترويح، والانتماء، والأمن، والاطمئنان على حاضرهم، ومستقبلهم)[١].

بذلك تدخل الأنشطة الإعلامية وكذلك عمليات التأمينات الاجتماعية، ورعاية المعوقين والعجزة، والأيتام، وكذلك رعاية المسنين، ورعاية الأحداث والمنحرفين، وإصدار القوانين التي تحمي أفراد الأسرة، وتصون حقوقهم، وكذلك رعاية المسجونين، لكي يعودوا مهيئين خلقياً واجتماعياً، ومهنياً لإعادتهم إلى حياتهم الطبيعية في داخل المجتمع.

ومن ذلك تشجيع القيام بالصناعات، والحرف المختلفة.

وكذلك إنشاء المراكز، والأندية، والساحات الشعبية، وكذلك افتتاح مراكز للتدريب المهني ومراكز لرعاية الطفولة، والأمومة، وإنشاء الجمعيات الخيرية والتعاونية، وجمعيات لتحفيظ القرآن الكريم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) مراجعة كتاب «الإسلام والتنمية البشرية» للدكتور عبد الرحمن العيسوي.

ويمكن النظر للتنمية الاجتماعية كالآتي:

١ ـ كهدف.

٢ ـ كأسلوب.

٣ ـ كعملية.

١ ـ أما كونها كهدف: فإنها تسعى للوصول بالإنسان إلى مستوى الاستمتاع بالرفاهية، والشعور بالكرامة من أجل زيادة القدرة، والفاعلية لديه بأداء دوره، كفرد في المجتمع في إطار القيم، والمعايير التي يتبناها المجتمع، ويسير عليها. والتنمية في حد ذاتها، قد تضع للمجتمع قيماً جديدة يلتزم بها الفرد، ويسلكها.

٢ ـ أما التنمية كأسلوب: فإنها تسعى لتنمية القدرات والطاقات البشرية. والعمل الجاد على حسن استثمارها بالمشاركة الشعبية في المشروعات التنموية بالتعاون مع الدولة عن طريق توفير الخدمات المختلفة لأفراد المجتمع.

٣ ـ وأما التنمية العملية: فإنها يشترك فيها كل الناس لتحقيق العدالة الاجتماعية.

والإسلام كانت له اليد الطولى في هذا المضمار فأمر بالتضامن، والتكاتف، والتكافل الاجتماعي، يقول تعالى في التعاون: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾[١].

ويقول الرسول الكريم ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[٢].

(١) المائدة، آية ٢.

(٢) رواه مسلم.

ويقول: «مثل المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر، والحمى»[(١)].

نعم فالمسلمون وحدة واحدة، وجسم واحد، وقلب واحد، ومصلحة واحدة!!

ومن صور التنمية الاجتماعية، والترابط بين المسلمين مشروع الوصية في الإسلام بالجار بالقيام بحقوقه، والتحذير من إيذائه، والإحسان إليه. ومن صور التنمية الإجتماعية إكرام الضيف، والقيام بما يلزمه، ويعينه.

ومن صور التنمية الاجتماعية أداء الزكاة والصدقات لمستحقيها من الفقراء، والمساكين، واليتامى وابن السبيل، وهو ما يسمى بالتكافل الاجتماعي، يقول ﷺ مرغباً في ذلك: «الساعي على الأرملة، والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله»[(٢)]، ويقول: «أنا وكافل اليتيم، كهاتين في الجنة»، وأشار بالوسطى، والسبابة[(٣)].

ومن صور التنمية الاجتماعية كذلك المحبة في الله، وتبادل الهدايا فيما بينهم.

وكذلك الزيارة، والمصافحة التي يأمر بها الإسلام؛ وبإفشاء السلام بين المسلمين، تزداد المحبة بين الناس.

يقول ﷺ: «ألا أدلكم على شيء، إذا فعلتموه، تحاببتم» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أفشوا السلام بينكم»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري، وأحمد، وأبو داود، والترمذي.
(٤) رواه مسلم.

وأي خدمة يؤديها المسلم نحو المجتمع، هو نماء للمجتمع، ومن صور التنمية الاجتماعية في الإسلام الحضّ على مشروعية الوقف، والهبة، والكفالة فهذه من الأشياء التي حضّ عليها الإسلام وبارك فيها، بل إن الفقهاء المسلمين عقدوا لذلك أبواباً خاصة في الفقه، وجعلوا لها شروطاً لانعقادها، وعدم ضياعها.

الفصل الرابع عشر

في مجال تنمية الروح والعقل والجسم، في الإطار الإسلامي

١ ـ تنمية الروح.

٢ ـ تنمية العقل.

٣ ـ تنمية الجسم.

الفصل الرابع عشر
في مجال تنمية الروح والعقل والجسم، في الإطار الإسلامي

إن الإنسان وحدة مترابطة، ممتزجة الأجزاء، لا ينفصل بعضها عن بعض: الروح، والعقل، والجسم.

١ ـ تنمية الروح

الروح، هي مهتدية إلى الخالق بفطرتها، إنها من روح الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[١]، وطاعة العقل محدودة، وطاعة الجسم محدودة كذلك، لكن طاقة الروح وحدها لا تعرف البدء، ولا النهاية، وكذلك لا تعرف الفناء.

وهي وحدها تملك الاتصال بخالقها وموجدها، فتملك الاتصال بما لا يدركه الحس، ولا يدركه العقل وهي التي تملك الاتصال بالخلود الأبدي، والأزلي، فتملك الاتصال بخالقها، هي وحدها تملك ذلك؛ فتنمية الروح هي انعقاد صلة بينها وبين خالقها، صلة دائمة، ومستمرة في كل لحظة من لحظات العمر، وفي كل عمل، وكل فكرة، وكل شعور.

(١) النجم، آية ٢٩.

٢ ـ تنمية العقل

يبدأ الإسلام بالتنمية العقلية بتحديد مجال النظر العقلي، فهو يصون الطاقة العقلية من أن تتبدد وراء الغيبيات التي لا يستطيع العقل البشري أن يحكم فيها، لكنه يعطي الإنسان نصيبه من تلك الغيبيات بالمقدار الذي يلبي ميوله للمجهول، ولا يزيد على ذلك.

فالعقل وسيلته إلى معرفة الخالق جل وعلا وإلى معرفة الحق، وهي تدبر الظاهر للحس والمدرك بالعقل، ومن ثم يحدد مجاله في هذا النطاق، ولا يتركه يغرق، ويتيه، كما تاهت، وغرقت فيه الفلسفة، واللاهوت من قبل، فلم تصل إلى نتيجة حقيقية، ومن ثم يأخذ الإسلام في تدريب الطاقة العقلية عن طريق الاستدلال المثمر، ومن ثَمَّ التعرف على الحقيقة، ويصل إلى ذلك بوسيلتين:

ـ الوسيلة الأولى: هي وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي.

ـ الوسيلة الثانية: هي تدبّر نواميس الكون والتأمل بما فيها من الدقة، والارتباط.

١ ـ أما الوسيلة الأولى: فيصل إليها عن طريق التوجيهات، والتدريبات فهو أولاً يبدأ بتفريغ العقل من كل تلك المقررات للبشر التي لم تقم على يقين تام، وإنما قامت على مجرد التقليد أو الظن.

وهنا ينعى الإسلام على أولئك المقلدين الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1]، ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[2]،

(١) الزخرف، آية ٢٣.
(٢) البقرة، آية ١٧٠.

وكذلك ينعى على الذين يتبعون الظن: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[1].

وكذلك يأمر بالتثبت من كل أمر قبل الاقتداء والأخذ به: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[2].

إذاً المسؤولية هنا عظيمة، يبرز التعبير عظمتها بإفراد السمع، والبصر، والفؤاد في مبدأ الأمر ليكون كل منها مسؤولاً على حدة، ثم يجمعها كلها بعد ذلك لتكون كلها في نطاق المسؤولية من أجل أن يحس الإنسان بعِظَم التبعة والمسؤولية وهو يقدم على الأمر، فلا يستخف بها، ولا يأخذها بدون تثبت، لأنه مسؤول عنها. والتوجيهات في هذا الخصوص كثيرة، فأصحاب الكهف مثلاً يقولون: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾[3]، فلا يستطيع القوم أن يقدموا دليلاً واضحاً مقنعاً على ما يدّعونه من اتخاذهم تلك الآلهة، لكي يتثبت منه العقل قبل اقتفائه والأخذ به.

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك من القرآن الكريم.

٢ ـ أما الوسيلة الثانية: وهي تدبُّر نواميس الكون، فهي تطبع العقل بطابع الدقة، والتنظيم، فنرى أن الإسلام يوجه الطاقة العقلية أول ما يوجهها إلى التأمل في الكون، وفي حكمة الصانع تبارك وتعالى، وتدبيره له، وهو أقرب ما يكون إلى مملكة الروح.

---

(١) النجم، آية ٢٨.
(٢) الإسراء، آية ٣٦.
(٣) الكهف، آية ١٥.

فهو سبحانه الخالق المدبر، الذي خلق السمٰوات والأرض بالحق، ويدبرها بالحق كذلك، وذلك هو موضع (التأمل) وهو بحر واسع من التأملات ليس له نهاية.

وقد عالجته الفلسفات السابقة منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا، لكنها لم تصل إلى الغاية، لأنها ذهنيات جافة، مجردة، لا تنبض بالحياة، لكن القرآن يمزجها بنداوة الروح، فحينئذ تنبض، وتسري إليها الحياة، فيهتز القلب البشري. وإقامة الحياة في الأرض تقوم على أسس ثابتة من الحق، والعدل الأزليين اللذين يكمنان في بنية الكون وبنية الحياة.

ويأتي تكرار هذه الحقيقة في القرآن في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾[1]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾[2]، إذاً، فالحق في بنية الكون ذاته يوم خلقه الله تعالى، فامتزج الحق في كيانه، وبالتلو، ارتفع الباطل، والضلال ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ إذاً فالكون لم يوجد صدفة، ولم يوجد باطلاً، ولا عبثاً، وكذلك الإنسان نفسه، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[3].

فالحق في السموات والأرض، وفي الناس، والحياة. والقرآن ذاته، هو الحق، ونزل بالحق، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾[4]، من أجل ذلك اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بلغ الحس البشري إلى الحق في السمٰوات والأرض، والإنسان، والحياة كلها، فيجعل التدبر في هذا الأمر جزءاً من العقيدة.

---

(١) الأنعام، آية ٧٣.
(٢) إبراهيم، آية ١٩.
(٣) المؤمنون، آية ١١٥.
(٤) الإسراء، آية ١٠٥.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[١].

فأولو الألباب يتفكرون لا لمجرد التفكير، ولكن ليصلوا إلى نتيجة وهي: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ فيعرفون الحق واضحاً، ولم يقفوا عند هذا الحد من المعرفة فحسب، وإنما تتحرك في الحال قلوبهم، وأرواحهم بالتسبيح ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾.

ثم لا يقفون عند التسبيح المجرد، لكنهم يصلون بذلك إلى منهج الإيمان الكامل الذي يشمل الحياة كلها.

إنها تبدأ بالتفكر، وتنتهي بالعمل، العمل بمقتضى الدستور (الحق) الذي نزل به القرآن (الحق) وكذلك الجهاد في سبيل إقرار ذلك (الحق)، فتسير دفة الحياة على نهجه، وشريعته، ومن ثم الوصول إلى الغاية القصوى تصل إلى الجزاء في الأخرة.

فتصل الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، وتصل الناس بالخالق.

فهذا المنهج مذهل في دقته، وروعة توجيهاته. كل ذلك في ست آيات كريمة؟!

٣ ـ تنمية الجسم في الإطار الإسلامي

الإنسان المسلم مطالب بتنمية جسمه، وذلك بالمحافظة عليه بما يلي:

---

(١) آل عمران، آية، ١٩٠ و١٩١.

١ ـ اختيار الغذاء المفيد النافع للجسم، والبعد عن الذي يضر بجسمه، وعقله، ونفسيته: كالخمر، ولحم الخنزير، والميتة، والدم..

٢ ـ الرياضة مطلوبة من المسلم، لكي ينمّي جسمه، ويبعد عنه الأمراض؛ فمما أمر به الإسلام من الرياضة: ركوب الخيل، والسباحة، فقد صح عنه ﷺ: أنه سابق بالخيل التي لم تضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر ممن سابق بها[١] وجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: علموا أولادكم السباحة، والرماية، وركوب الخيل، فركوب الخيل يقوي الجسم، وينمي شعور المسلِم بالشجاعة، والبسالة، والقوة، وكان ﷺ يشجع على الرمي بقوله: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[٢].

وكان ﷺ يمرّ على أصحابه في حلقات الرمي، فيشجعهم، ويقول: «ارموا، وأنا معكم»[٣] وقال ﷺ: «عليكم بالرمي، فإنه من خير لهوكم»[٤].

٣ ـ على المسلم أن يتداوى، إذا مرض، لأن الإسلام أمر بالتداوي، قال ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء، برىء بإذن الله تعالى»[٥].

وفي علاج الحمى يقول ﷺ: «الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء»[٦].

---

(١) مسلم ١٢/ ١٤.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه الطبراني، والبزار.
(٥) رواه مسلم.
(٦) متفق عليه.

٤ ـ وإن لجسم الإنسان حقاً عليه في أن يأخذ قسطاً من الراحة. يقول ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «ألم أُخبَرْ أنك تصوم النهار، وتقوم الليل» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صم، وأفطر، وقم، ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً»[١].

فعلى المسلم أن يكون متكامل الشخصية بقوة الإيمان، والعقل، والجسم، وسلامة النفس، وقوة الضمير.

لكن يجب أن ننبه إلى أن رياضة الجسم، إذا خرجت عن حدودها، بحيث ضُيّعت في ذلك الصلوات وصرفت الأموال ووضعت في غير موضعها، وضيّعت أفكار الشباب، فإننا حينئذ نقف في وجهها!!

نعم! إن الإسلام، لا شك، يأمر بتقوية الجسم، والعقل لقوله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كذا، لكان كذا، ولكن قل قدَّر الله، وما شاء فعل، فإن «لَوْ» تفتح عمل الشيطان»[٢].

فالمؤمن مطالب بأن يكون قوياً في إيمانه، قوياً في تفكيره، قوياً في جسمه، قوياً في شخصيته، لكي يستعمل كل ذلك في خدمة دينه، وأمته، وليس لمجرد العبث، وتقوية الجسم، من أجل الشيطان، والبطولة الزائفة والمادة التي عمت الكثيرين، فما فائدة جسم قويّ، لا ينفع دينه، ولا أمته، ويصدّ عنهم ما يكرهون.

إن ما يصرف على هذه الألعاب سنوياً يبلغ الملايين، بل لربما

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.

المليارات، ولو صُرف كل ذلك في شراء أسلحة لحرب إسرائيل الجرثومة التي وضعها الاستعمار في قلب المسلمين، لكان يكفي تماماً للقضاء عليها، والاستراحة من شرها، ولكن هيهات هيهات!! إن الذي أوجد تلك الألعاب هو نفسه الذي أوجد إسرائيل فحببها إلى قلوب شباب المسلمين، وأشغلهم بها، لكي لا يفكروا في إسرائيل ومحوها من الوجود. وهذا الانشغال، الفكري، والجسمي، وصرف الأموال الطائلة من ميزانية المسلمين على تلك الألعاب، وصرف الشباب المسلم عن التفكير في الأصلح والأهم، هو الهدف الأساس، بل الغاية التي من أجلها يسعى أعداء الإسلام، وسعوا إليه من قبل لبقاء إسرائيل على خارطة الواقع.

الفصل الخامس عشر

التنمية في مجال الدعوة إلى الإسلام

١ ـ الكلام على الأخوة في الإنسانية.

٢ ـ الحرص على إسلام الكافر، وبذل الجهد في ذلك والدعوة إلى ذلك واجبة، وفرض بالتي هي أحسن.

٣ ـ معاملتهم المعاملة الحسنة.

٤ ـ قبول الصلح إذا أراد ذلك.

٥ ـ أساليب الدعوة:

أ ـ بالقول.

ب ـ بالسيرة الحسنة.

ج ـ بإقامة المنشآت.

الفصل الخامس عشر

التنمية في مجال الدعوة إلى الإسلام

الدعوة إلى دين الله الإسلام واجبة على كل مسلم، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧﴾[2].

وعن أبي بكر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ليبلِّغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلّغ من هو أوعى منه»[3]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»[4]، وقال: «نضّر الله امرءاً سمع منا شيئاً، فبلغه كما سمع، فرب مبلَّغ أوعى من سامع»[5].

وفي رواية: «نضّر الله امرءاً، سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلّغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه، ليس بفقيه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم

---

(١) النحل، آية ١٢٥.
(٢) آل عمران، آية ٨٧.
(٣) رواه الشيخان.
(٤) رواه البخاري، والترمذي.
(٥) رواه أبو داود، والترمذي.

شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»[١]، والأخوة في الإسلام قسمان: أخوة إيمانية، وسيأتي الكلام عليها، وأخوة إنسانية، وهي الأخوة بين بني البشر على أساس الرحم الإنساني، وهي شيء قد اعترف به الإسلام، ووصّى به المسلمين وشدَّد في ذلك. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[٣].

وقد جعل الإسلام لهذه الأخوة حقوقاً، وواجبات:

١ ـ منها دعوتهم إلى الإسلام، وبيان مزايا الإسلام لهم، وحثهم على الإسلام، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[٤].

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[٥].

٢ ـ ومنها معاملتهم بالعدل، والحسنى، وعدم التعرض لهم بسوء،

---

(١) رواه مسلم، والأربعة، وأحمد.
(٢) النساء، آية ١.
(٣) الحجرات، آية ١٣.
(٤) آل عمران، آية ١١٠.
(٥) البقرة، آية ٢٥٦.

في قول، أو عمل، أو إشارة، ومن هذا القبيل، فقد نزلت تسع آيات لتبرئة يهودي في عهد رسول الله ﷺ، وإدانة مسلم، وهي في سورة النساء من الآية ١٠٥ إلى الآية ١١٣، فقد نزلت في تبرئة اليهودي عن السرقة وإدانة المسلم.

٣ ـ ومنها قبول الصلح، إذا أراد الكفار الصلح، وأمر بإطعام الأسير منهم وعدم التعرض له بالإهانة واحترام إنسانيته بالمحافظة عليه، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[١]، يتضح من الآية الكريمة أن أمة الإسلام أمة إصلاح، وأمة منفعة للناس كافة، حيث تصلح نفسها، وتصلح غيرها من الأمم.

وهي الغاية من وجودها في هذه الدنيا، وكما قلنا إن الدعوة إلى الإسلام فرض واجب عليها، حيث إن الخالق جل وعلا، شرع هذا الدين رحمة للعالمين، وأرسل نبيه رحمة للعالمين، لذا لا يجوز لهذه الأمة الرحيمة أن تحتكر هذه الرحمة لنفسها، ولا تدل الناس عليها، أو لا تبلّغ هذا الدين لغيرها، لكي تنال الرحمة من الله الرحمن الرحيم في الدنيا والآخرة، لا لشيء آخر، وهو إعلاء كلمة الله تعالى في المعمورة كلها، فهم يبلّغون هذا الدين لغيرهم، ويبينون محاسنه، وميزاته في الدنيا والآخرة، ثم يتركونهم وشأنهم، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[٢].

فهم يريدون إعلاء كلمة الله تعالى، وإسعاد الخلق باتباعهم لهذا الدين وليس غير ذلك.

---

(١) آل عمران، آية ١١٠.
(٢) الكهف، آية ٢٩.

ووسائل هذه الدعوة تبرز فيما يلي:

أولاً: القول، إن الدعوة، والتبليغ لنشر الإسلام بالقول، هو الأصل مؤيداً بالحجة، الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ١٩﴾[١].

ومن يبلغه القرآن، فقد وصله التبليغ، ومن لم يصل، فليس بمبلغ.

فيجب:

أولاً البدء بالدعوة إلى الأصل وهي العقيدة عقيدة التوحيد، وفي مقدمتها الشهادتان ثم بيان محاسن الإسلام، وميزاته، ودفع الشبهات حوله.

ولا بد أن تكون منضبطة بالآيات الكريمة، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٢].

والدعوة بالقول تشمل الدرس، والخطبة، والمحاضرة والندوة، والمحادثة، والمناظرة.

ثانياً: السيرة الحسنة: من أهم وسائل الدعوة لقبولها، وعدم العزوف عنها السيرة الحسنة للداعي، والسلوك الحميد لكي يقبل قوله ودعوته، ويكون قدوة لغيره.

ومن المعلوم أن التأثر بالأفعال عن طريق التقليد، أبلغ من التأثير من الأقوال ولهذا نرى أن الإسلام انتشر في بقاع الأرض على هذا النمط،

---

(١) الأنعام، آية ١٩.

(٢) النحل، آية ١٢٥.

وبهذا السلوك الطيب.

ثالثاً: إقامة المنشآت التي تنفع الناس: كالمساجد، والمدارس، والمستشفيات، ومؤسسات الإغاثة، وهذه كلها تؤلف بين قلوب الناس، ومن ثمَّ يسهل الدخول في الإسلام!!

من المسؤول عن ذلك؟

المسؤول عن ذلك الحكومات الإسلامية، وكذلك الأفراد من المسلمين.

الفصل السادس عشر

في مجال تنمية الأخوة والمحبة في الله

١ ـ إفشاء السلام.

٢ ـ أن تكون المحبة لله.

٣ ـ تبادل الزيارات.

٤ ـ تبادل الهدايا.

٥ ـ المواساة بالمال.

٦ ـ أن يكون كل منهم عوناً لصاحبه في الشدائد.

٧ ـ أن يكف لسانه عن صاحبه.

٨ ـ لا يتلفظ إلا بما يحبه، ويرضاه.

٩ ـ العفو عن الزلات.

١٠ ـ ألا يكلفه بما لا يطيق.

١١ ـ أن يدعو له بالخير في غيابه.

الفصل السادس عشر
في مجال تنمية الأخوة والمحبة في الله

نعني بتنمية الأخوة والمحبة في الله هي: تعهد هذه الأخوة، والمحبة باستمرار، والمحافظة عليها بتقوية أواصرها من حين لآخر بمزاولة أسباب تنميتها، وإعطائها صبغة الاهتمام الكامل، والأوليات لكل منهما، لكي لا تزول، ولا تنمحي بمرور الأيام في كل زمان ومكان.

ورابطة أخوة الإيمان، أقوى من رابطة النسب لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[(١)]، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[(٢)].

وتقوى هذه الأخوة وتزداد المحبة بما يلي:

١ ـ إفشاء السلام فيما بين المسلمين.

٢ ـ أن تكون المحبة لله وفي الله، لا لشيء آخر من أغراض الدنيا، كطلب المال، والجاه.. فإنها حتماً ستزول.

٣ ـ تبادل الزيارات.

٤ ـ تبادل الهدايا فيما بينهم.

٥ ـ المواساة بالمال، والمساعدة.

٦ ـ أن يكون كل منهم عوناً لصاحبه في الملمات.

---

(١) الحجرات، آية ١٠.

(٢) آل عمران، آية ١٠٣.

١ ـ إفشاء السلام: لقوله ﷺ: «ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أفشوا السلام بينكم»[١].

ومعنى إفشاء السلام، السلام على من تعرف ومن لا تعرف.

٢ ـ المحبة في الله: أن تكون خالصة لوجهه الكريم، لا لأي غرض آخر دنيوي كالمال، والجاه..

قال ﷺ: «سبعة يظلهم تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله، ...» ومن ضمن السبعة: رجلان تحابا في الله، وافترقا عليه[٢].

وقال ﷺ: «من أحب الله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[٣].

٣ ـ تبادل الزيارات: ومما يؤكد توطيد المحبة ويزيدها وينميها، تبادل الزيارات لقوله ﷺ: «إن حول العرش منابر من نور، عليها قوم لباسهم نور، ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء، قالوا: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: «المتحابون في الله، والمتجالسون في الله، والمتزاورون في الله»[٤].

ويقول ﷺ: يقول الله تعالى: «حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي»[٥].

وقوله ﷺ: «إن رجلاً زار أخاه في الله، فأرصد الله له ملكاً، فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلاناً، فقال: لحاجة لك عنده؟ قال:

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه النسائي، وهو صحيح.
(٥) رواه أحمد، والحاكم وصححه.

لا! ، قال: لقرابة بينك، وبينه؟ قال: لا! ، قال: فبنعمة لك عنده؟ قال: لا! ، قال: ففيم؟ قال: أحبه في الله، قال: فإن الله أرسلني إليك أخبرك بأنه يحبك، لحبك إياه، وقد أوجب لك الجنة»[١].

٤ ـ تبادل الهدايا: ومما يزيد المحبة في الله، وينميها، ويؤكدها تبادل الهدايا بينهم، ويكون ذلك لله، لا لشيء آخر.

٥ ـ المواساة بالمال، فكل واحد منهم يواسي الآخر مما منَّ الله عليه، وأعطاه.

٦ ـ أن يكون كل واحد منهم عوناً لصاحبه في النوائب وقضاء الحاجات، ويؤثره على نفسه، وأولاده، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢].

٧ ـ أن يكفَّ لسانه عنه، إلا بخير، فلا يذكر له عيباً في غيابه، أو حضوره، ولا يطلع على عوراته، وأسراره، ولا يعاتبه في شيء.

٨ ـ ألا يتلفظ بلسانه إلا بما يحبه، ويدعوه بأحسن الأسماء إليه، وأن يذكره بخير في حضوره، وغيابه.

٩ ـ العفو عن الزلات: ومما ينمي الصداقة، والمحبة كذلك أن يعفو عن زلاته، إذا زلّ، ويتغاضى عن هفواته، ويستر عورته.

١٠ ـ ألا يكلفه بما لا يطيق، وألا يحمّله ما لا يرتاح إليه، فإن ذلك مما ينمي المحبة بينهما.

١١ ـ الدعوة له بالخير: ومما يزيد المحبة في الله وينميها كذلك أن يدعو له، ولأولاده بالخير، والصلاح في غيابه لقوله ﷺ: «إذا دعا

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الحشر، آية ٩.

الرجل لأخيه في ظهر الغيب، قال الملك: ولك مثل ذلك»[١]. والأخوة والمحبة في الله درجات أعلاها الإيثار وأن تؤثره بما يحتاجه، هو وأولاده على نفسك وأولادك، وأنت في أشد الحاجة إلى ذلك الشيء ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢]، وأوسطها المساواة بينك وبينه، فتحب له كما تحب لنفسك لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٣].

وأدناها سلامة الصدر من الغش والخداع، والغل، والحقد، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الحشر، آية ٩.
(٣) رواه مسلم.
(٤) الحشر، آية ١٠.

الفصل السابع عشر

في مجال تنمية التوبة والاستغفار والذكر والدعاء.

١ ـ التوبة بالاستغفار المستمر.

٢ ـ الذكر والدعاء، والاستمرار والإلحاح في ذلك.

٣ ـ الصلاة على النبي ﷺ.

الفصل السابع عشر
في مجال تنمية التوبة، والاستغفار والذكر، والدعاء

أما التنمية في مجال التوبة، والاستغفار، والذكر، فإن الإسلام حض على تنمية ذلك في كل زمان، ومكان، ورغب فيه كل الترغيب، وأن يداوم على ذلك. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[١].

وقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

وعن الأغرّ بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله، واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة»[٣].

وفي مجال الذكر، والدعاء قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[٤]، أي اذكروه على الدوام، وفي كل الأوقات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإن وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم ما يقول عبادي؟ قال: يقولون يسبحونك

---

(١) المائدة، آية ٧٤.
(٢) النور، آية ٣١.
(٣) رواه مسلم.
(٤) الأحزاب، آية ٤١ و٤٢.

ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني، قال: يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً، قال: يقول: فما يسألونني؟ قالوا يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف إن رأوها؟ قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال: فممّ يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: هل رأوها؟ قال: يقولون لا والله ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها، قال: يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم[١]».

وقال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾[٢].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[٣].

وقال رجل للنبي ﷺ: «إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فمرني بأمر أتشبث به، فقال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»[٤].

والذكر نوعان: ذكر ثناء: كقولك: «سبحان الله والحمد لله، ولا

(١) متفق عليه.
(٢) الأعراف، آية ٥٥.
(٣) آل عمران، الآيتان ١٩٠ و١٩١.
(٤) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

إله إلا الله، والله أكبر».

وذكر دعاء: كقولك: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[(١)]، وبتنمية الذكر يطمئن القلب، وترتاح النفس من كدر الدنيا ومن منغصات الحياة، وتعبها، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[(٣)].

ومن باب تنمية الذكر الصلاة على النبي ﷺ، في كل زمان، ومكان، ولا تقف عند حد معين وبخاصة ليلة الجمعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[(٤)].

وقال ﷺ: «من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات»[(٥)].

أما الدعاء فينبغي الإلحاح فيه، والإكثار منه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء»[(٦)].

---

(١) الأعراف، آية ٢٣.
(٢) الرعد، آية ٢٨.
(٣) البقرة، آية ١٥٢.
(٤) الأحزاب، آية ٥٦.
(٥) رواه أحمد، والحاكم وهو حسن.
(٦) رواه الترمذي.

الفصل الثامن عشر

التنمية في مجال البذل والعطاء والإنفاق

١ ـ الترغيب في الصدقة.

٢ ـ عدم احتقار الصدقة، ولو كانت يسيرة.

٣ ـ الإسراع في الصدقة، وعدم تأخيرها.

٤ ـ أن تكون من كسب اليد.

٥ ـ الصدقة سبب في تكفير السيئات.

٦ ـ المال يزيد بالصدقة ولا ينقص.

الفصل الثامن عشر

التنمية في مجال البذل، والعطاء، والإنفاق.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۞﴾[٢].

وفي الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: «يا ابن آدم، أَنفقْ، أُنفقْ عليك»[٣]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة»[٤] وعنه رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم الشح، أمرهم بالبخل، فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور، ففجروا»[٥].

وكان ﷺ يرغب في الصدقة قال ﷺ: «على كل مسلم صدقة، فقالوا: يا نبي الله! فمن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده، فينفع نفسه، ويتصدق» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فليعمل المعروف، وليمسك عن

(١) سبأ، آية ٣٩.
(٢) الحديد، آية ٧.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.
(٥) رواه أبو داود، بسند صحيح.

الشر، فإنها صدقة»[(١)].

وقد يحتقر المسلم ما ينفقه، لقلته، ولكن الإسلام يدعو ويرغب في إنفاقه، فقد قال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[(٢)].

ومن باب تنمية البذل، والعطاء، والإنفاق الإسراع في الصدقة قبل فوات الأوان، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾[(٤)]، وقال ﷺ: «تصدقوا، فيوشك الرجل يمشي بصدقته، فيقول الذي أعطيها لو جئتنا بها بالأمس، قبلتها، وأما الآن، فلا حاجة لي بها، فلا يجد من يقبلها»[(٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق، وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان كذا»[(٦)].

وقد طبق ﷺ ـ ذلك عملياً فعن عقبة بن الحارث رضي الله عنه، قال: صلى بنا النبي ﷺ العصر، فأسرع، ثم دخل البيت، فلم يلبث أن خرج، فقلت، أو قيل له.. فقال: «كنت خلّفت في البيت تبراً من الصدقة

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) المؤمنون، آية ٦١.
(٤) المنافقون، آية ١٠.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه البخاري.

فكرهت أن أبيّته، فقسمته»(١).

أي كره ﷺ أن يبيته إلى الصباح عنده، فسارع بإخراجه قبل الصباح.

ومن باب تنمية البذل، والعطاء والإنفاق، رغَّب في الإنفاق، وبيّن مضاعفة الثواب عند الله تعالى، والتنمية لصاحبها، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾(٣)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربى أحدكم فلوّه، حتى تكون كالجبل»(٤).

فلوه: أي المهر، وهو الصغير من الخيل.

ومن باب التنمية في ذلك الترغيب في أنها سبب في تكفير السيئات. فعن حذيفة قال: قال عمر رضي الله عنه، أيكم يحفظ حديث رسول الله عن الفتنة قال: قلت: أنا أحفظ كما قال، قال: إنك عليه لجريء، فكيف قال؟ قلت: «فتنة الرجل في أهله، وولده، وجاره، تكفرها الصلاة، والصدقة، والمعروف»(٥).

---

(١) رواه البخاري.
(٢) البقرة، آية ٢٦١.
(٣) البقرة، آية ٢٦٥.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه البخاري.

ومن هذا الباب أن الصدقة تظل صاحبها من لهيب الشمس يوم القيامة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل امرىء في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس»[(١)].

وقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، ومن هؤلاء «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله بما أنفقت يمينه»[(٢)].

ومن باب تنمية المال التشجيع على العطاء، والإنفاق في سبيل الله تعالى دون خوف، أو وجل من نقصان المال، وإنما الإنفاق يزيده وينميه، وهو سبب البركة فيه قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[(٣)].

وقال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه الطبراني.
(٣) البقرة، آية ٢٧٦.
(٤) رواه مسلم.

الفصل التاسع عشر

التنمية في مجال العمل والكسب

١ ـ العمل واجب، وهو جهاد.

٢ ـ الإتقان في العمل واجب وصاحبه محبوب عند الله تعالى.

٣ ـ العمل عبادة لله تعالى.

٤ ـ ما ذهب من عمله، فله به أجر بشرط النية.

الفصل التاسع عشر

التنمية في مجال العمل، والكسب

العمل، والكسب في الإسلام واجب على القادر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾(١).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾(٣).

وجاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فسأله شيئاً من المال، وهو قوي معافى، فقال له الرسول ﷺ: «أما في بيتك شيء؟ قال: بلى حلس. (كساء غليظ ممتهن) نلبس بعضه، وقصب نشرب فيه من الماء، قال: ائتني بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده الشريفة، وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال رسول الله ﷺ من يزيد على درهم؟ (مرتين أو ثلاثاً) قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاه إياهما، وأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري، وقال: اشترِ بأحدهما طعاماً، فانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخر قدوحاً، فأتني به، فأتاه

---

(١) الملك، آية ١٥.

(٢) الجمعة، آية ١٠.

(٣) القصص، آية ٧٧.

به، فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده.

ثم قال: اذهب، فاحتطب وبع، ولا أرَنيك خمسة عشر يوماً، ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث، لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسب يده، وإن ولده من كسب يده»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خير الكسب كسب العامل، إذا نصح»[٣] وذكر بعض العلماء أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾[٤]. يدل على الكسب، وأنه بمنزلة الجهاد في سبيل الله حيث ساوى بين الجهاد، والضرب في الأرض لابتغاء الرزق.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «ما جاءني في مكان ـ ما عدا الجهاد في سبيل الله ـ أحب من أن يأتيني، وأنا بين شعبتي رجلي،

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه النسائي، وابن ماجه.
(٣) رواه أحمد، قال ابن حجر الهيثمي رجاله ثقات.
(٤) المزمل، آية ٢٠.

أطلب من فضل الله. وتلا: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

بل إن المتقن للعمل محبوب عند الله وكذلك هو محبوب عند الناس، قال ﷺ: «إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»[(١)].

وأفضل العمل ما كان باليد وهو من دأب الأنبياء عليهم السلام، قال ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يأكل من عمل يده»[(٢)].

وأما محمد ﷺ: «فإنه رعى الغنم على قراريط لأهل مكة».

ويقول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللَّهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً، ولا فضة».

بل سماه رسول الله ﷺ جهاداً: فعن كعب بن عجزة قال: مرّ على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده، ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله (أي الجهاد لإعلاء كلمة الله، وكان أفضل العبادة عندهم) فقال: إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه، يعفها، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً، ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[(٣)].

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن أي عمل، إذا قصد به وجه الله، فهو عبادة في الإسلام، بشرط النية قاصداً بذلك وجه الله تعالى، حتى الجنس بالحلال إذا زاوله بنية العفة عن الحرام كان ذلك طاعة، وعملاً يثاب

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان.
(٢) رواه أحمد، وهو صحيح.
(٣) رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

عليه، وكذلك الأكل والشرب.

وقد استغرب الصحابة عندما سمعوا قوله: «في بَضع أحدكم صدقة» قالوا أيأتي أحدنا شهوته، يكون له صدقة، قال: أرأيتم لَو وضعها في الحرام، أكان عليه وزر؟ قالوا: نعم، قال كذلك لو وضعها في الحلال»[(١)].

ويصرح الإسلام في اعتبار أن العمل هو العبادة، ما دام القلب مرتبطاً بالله قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[(٢)].

وقد فتح الإسلام باب العمل على مصراعيه، فوسع دائرة الكسب في حدود المباح، فشمل الآتي:

الاكتساب في مجال الزراعة، وفي مجال تنمية المواشي، وفي مجال الصناعة، وفي مجال الأنشطة الأخرى بحيث لا يخرج عن دائرة الحلال إلى ما حرمه الله ومن هنا، فإن الإسلام، لا يعتبر العمل حرصاً على الحياة فحسب، وإنما هو:

أولاً: أساس كل شيء، فهو قبل كل شيء أساس التقرب إلى الله تعالى، لذلك يقرنه القرآن العظيم دائماً بالإيمان، وفي آيات عدة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[(٣)].

---

(١) رواه مسلم، والترمذي.
(٢) البقرة، آية ١٧٧.
(٣) الشعراء، آية ٢٢٧.

ثانياً: هو أساس الإقتصاد الإسلامي، فمشقة الإنسان وكبده في هذه الحياة إنما هو العمل الجاد الذي لا يعرف الهوادة، ولا التقصير ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾[١].

نعم خلقه الله في كبد، وفي مشقة طوال حياته لا يعرف الراحة.

فالعمل هو أساس الثروة في الأرض، ليعمر الأرض، وليحصل على ثرواتها.

ومن هنا، فإن علماء الاقتصاد الحديث يعرّفون العمل بأنه سلوك ظاهري، يجد جذوته المتّقدة في حرص الإنسان على الحياة.

ومن هنا كان دافع المال، هو أقوى الدوافع النفسية وأولاها بالرعاية، لأنه في حقيقة الأمر، هو من فطرة الإنسان التي فطره الله عليها.

---

(١) البلد، آية ٤.

الفصل العشرون

في مجال تنمية المال

١ ـ في مجال تنمية مال التجارة.

٢ ـ في مجال تنمية الزراعة.

٣ ـ في مجال تنمية الثروة الحيوانية، أو المواشي.

٤ ـ في مجال تنمية الصناعة.

الفصل العشرون
في مجال تنمية المال

تمهيد:

المال عصب الحياة، لا يستغني عنه الإنسان في كل زمان ومكان، وقد أمر الشرع بتنمية المال، والمحافظة عليه وحسن تدبيره، وتثميره في حدود الشرع، وقد أشاد بمنزلة الغني الشاكر الذي يستخدم ماله في مرضاة الله، فقال: نعم المال الصالح للرجل الصالح»، فالإنسان خليفة الله في الأرض، واستخلفه في تدبير هذا المال، استخلاف إدارة، وتنمية، وهو تكليف من الله تعالى، لا يتم إلا باتباع أوامر الشرع، وما رضيه الإنسان لنفسه من معاملات في الإطار الإسلامي.

والإسلام يحث على تنمية المال بأنواعه سواء كان نقوداً، أو تجارة، أو زراعة، أو تربية مواشي، أو صناعة، وكلما زادت هذه الأشياء، ونمت، زاد سهم الفقراء، والمساكين من الزكاة ونما، وكان في صالحهم. وأما ما ورد في ذم الغنى، فهو ذاك الذي يستعمله صاحبه في غير مرضاة الخالق، ويؤدي بصاحبه إلى الطغيان، وعدم الشكر لله تعالى.

فلذلك جاء الحديث السابق: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» ومن باب المحافظة على المال، وتنميته، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُوا

ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾»(١).

فعلى ولي الأمر، ألا يترك السفيه، يلعب بالمال، ويبدده ويضعه في غير فائدة ترجع على المجتمع، وقال ﷺ: «إن الله حرم عليكم القيل، والقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(٢).

* ومن حرص الشارع الحكيم كذلك على المال فإن من مات يدافع عن ماله، فهو شهيد، قال ﷺ: «من مات دون عرضه، فهو شهيد ومن مات دون ماله، فهو شهيد»(٢).

* ومن باب التأكيد على حفظ المال كذلك، حرّم أخذ المال دون وجه حق.

* ومن أجل ذلك حرم الربا، قال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾(٣).

فهو من باب أكل أموال الناس بالباطل: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾(٤).

وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله، وعرضه»(٥).

لأن المرابي الذي أخذ الزيادة من المحتاج، أخذها دون وجه حق، لأنه لم يقم بعمل يستحق أخذ تلك الزيادة، وإنما الذي قام بالعمل هو العامل، وتعب فيه فكأن الذي أعطى المال قد سرق أتعاب العامل وأكل حقه دون وجه حق.

---

(١) النساء، آية ٥.
(٢) متفق عليه.
(٣) البقرة، آية ٢٧٦.
(٤) البقرة، آية ١٨٨.
(٥) متفق عليه.

* وكذلك حرّم الاحتكار، لأن المحتكر، منع ماله من النماء لمصلحة المجتمع، وأراد بارتفاع ثمن السلعة استغلال حاجة المحتاجين بأخذ الزيادة منهم دون وجه حق(١).

* ومن باب التأكيد على حفظه، حرّم الإسراف، والتبذير فيه، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝٢٧﴾(٣).

* ومن باب تنمية المال، أمر الإسلام بتنمية مال اليتيم بالتجارة حتى لا تأكله الزكاة، فقال ﷺ: «من ولي ليتيم مالاً، فليتجر به، ولا يدعه تأكله الزكاة»(٤).

* والمال وسيلة، وليس غاية، فالإنسان وسيلته في المعاش، وهو مأمور بتنميته وزيادته، ولكن لا يكون ذلك على حساب الآخرين بكسبه من طريق الرشوة والخداع، والتضليل، والربا، وأكل أموال الناس بالباطل، فالمال وسيلة المسلم، لكي يقوم بمهامه، ومهام من يعولهم، إذاً هو مأمور بنمائه باستمرار بالوسائل التالية:

* الانتشار في الأرض، والابتغاء من فضل الله تعالى بزيادة ماله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ

---

(١) متفق عليه.
(٢) الأعراف، آية ٣١.
(٣) الإسراء، الآيتان ٢٦ و٢٧.
(٤) رواه الطبراني.
(٥) الجمعة، آية ١٠.

نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[١].

والمسلم مأمور بتنمية ماله، لئلا يقع في براثن الفقر لقوله ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[٢]، لذلك استعاذ ﷺ في دعائه من الفقر، فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر»، وقد أمره الله تعالى بالسعي في الأرض للحصول عليه، فقال: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٣].

ومدح فاعله فقال ﷺ: «إن الله يحب العبد المحترف»[٤].

أي تكون له حرفة تزيد من ماله، وتنمِّيه، فعلى المسلم بالوسائل التالية لتنمية ماله:

١ ـ التنمية في مجال التجارة

يجب أن ننبه إلى أن رسول الله ﷺ كان يتجر بمال لخديجة قبل البعثة بذهابه إلى الشام، وبعد البعثة كان أصحابه يشتغلون بالتجارة كأبي بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ، فقد روى الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «لقد خرج أبو بكر رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ تاجراً إلى بصرى»، ورجاله رجال الثقات.

وكذلك عمر رضي الله عنه، اشتغل بالتجارة لكسب العيش، فعنه رضي الله عنه،

---

(١) القصص، آية ٧٧.
(٢) الحديث أورده أبو نعيم في الحلية.
(٣) الملك، آية ١٥.
(٤) رواه الطبراني.

أنه قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة ـ كنا نتناول النزول على رسول الله، ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزل جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي، وغيره، وإذا نزل، فعل مثل ذلك»[١].

يقول ابن حجر معلقاً على هذه القصة، وفيه أن الطالب لا يغفل عن أمر معاشه ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته، كما علم من حال عمر أنه كان يتعاطى التجارة، إذ ذاك.

فنرى هنا أن عمر كان يغيب عن النبي ﷺ: ـ وهو شيء مهم بالنسبة له ـ لتلقي العلم من رسول الله ﷺ، ولكن كان ذلك، لم يمنعه من كسب رزقه بالعمل في التجارة.

وقد سئل رسول الله ﷺ: أي الكسب أفضل: قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»[٢] والبيع المبرور الذي ليس فيه غش ولا خداع، ولا تضليل من حيث الزيادة في السعر، أو الرداءة في البضاعة أو الحلف على السلعة لترويجها. . .

٢ ـ التنمية في مجال الزراعة

أباح الإسلام تنمية الكسب عن طريق الزراعة، ورغّب فيها وباركها، فقد قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً،

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أحمد.

فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»[١].

وقال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً إلا ما أُكل منه، كان له صدقة، وما سُرق منه، إلا كان له صدقة، وما أكل السبع منه، فهو له صدقة وما أكلت الطير، فهو له صدقة»[٢].

بل أكثر من ذلك، فقد ورد في الحديث أنه: «إذا غرس غرساً، أو زرع زرعاً، كان له أجر الصدقة الجارية فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «فلا يغرس المسلم غرساً، فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا طير، إلا كان صدقة إلى يوم القيامة»[٣].

ومما يدل على اهتمام الإسلام بتنمية الزراعة، وتعهدها بالسقي باستمرار هذه القصة:

فعن أنس بن مالك قال: كان معاذ بن جبل يؤم قوماً، فدخل حرام بن ملحان، وهو يريد أن يسقي نخله، فدخل المسجد مع القوم فلما رأى معاذاً طوّل، تجاوز في صلاته (أي خففها وحده قبل أن يفرغ معاذ) ولحق بنخله يسقيه، فلما قضى معاذ الصلاة، قيل له ذلك، فقال: إنه لمنافق، أيعجل عن الصلاة من أجل سقي نخله؟ قال: فجاء حرام إلى النبي ﷺ، ومعاذ عنده، فقال: يا نبي الله، إني أردت أن أسقي نخلاً لي، فدخلت المسجد، لأصلي مع القوم، فلما طوّل ـ معاذ ـ تجوزت في صلاتي، ولحقت بنخلي أسقيه، فزعم أني منافق!! فأقبل النبي ﷺ على معاذ، فقال: أفتّان أنت؟ أفتّان أنت؟ لا تطوّل بهم. اقرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، و﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾، ونحوها[٤].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أحمد بسند صحيح والقصة في الصحيحين.

وقد صحت الروايات أنها صلاة العشاء، وذكر أن معاذاً قرأ فيها بـ : ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ لا بالبقرة، ولا بآل عمران.

من هذه القصة يتضح لنا مدى اهتمام الإسلام بالعمل، بالزراعة، ونحوها، ويتبين لنا أن الإسلام دين لا يعزل الدنيا عن الدين، فإذا كانت الصلاة عبادة، فكذلك العمل عبادة في الإسلام!!

ومن باب التشجيع على الزراعة، وتنميتها قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾[(١)].

في هذه الآية دلالة على أن المطلوب هو تنمية هذه الأشياء والقيام عليها، لكي تنمو وتأتي أكلها بعد ذلك، ومن ثم ينمو حق الفقير والمسكين بإعطائه حقه يوم حصاده.

ومن باب الحث على تنمية الزراعة، رغّب في ذلك العمل، حتى ولو في آخر لحظة من حياة الإنسان، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن قامت القيامة، وفي يد أحدكم فسيلة، فليغرسها»[(٢)].

وقد كان الصحابة يُرغِّبون في الزراعة، فقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يؤكد على شيخ بأن يغرس، فقد روى السيوطي عن ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: «سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير، أموت غداً، فقال عمر: أَعزم عليك لتغرسها، فقد رأيت عمر يغرسها بيده مع أبي»[(٣)].

---

(١) الأنعام، آية ١٤١.
(٢) الأدب المفرد للبخاري.
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة.

٣ ـ التنمية في مجال الثروة الحيوانية

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[١].

الآية واضحة بأن الله تعالى الذي خلق هذه الأنعام، وملّكها الإنسان، وذلّلها له، طلب منه أن يقوم بتنميتها، وتكثيرها، وزيادتها، والأنعام تشمل الإبل، والبقر، والغنم.

وبتنميتها ينمّى حق الفقير، والمسكين، والمحتاج. فكلما نمت هذه الأنعام، نمت سهامهم وزادت. ومن المعلوم أن المسلمين كانوا يهتمون بتربية المواشي: الإبل، والبقر، والغنم، والخيل، كغيرهم من العرب من سكان الجزيرة، فأقرّهم ﷺ على ذلك، بل بارك عملهم، وتنميتهم لتلك المواشي.

فقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر أم هانىء باتخاذ الغنم، فقال لها: «اتخذي غنماً، فإن فيها بركة»[٢].

وعن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «الشاة في البيت بركة، والشاتان بركتان، والثلاث ثلاث بركات»[٣].

فبين ﷺ أن في تربية الغنم بركة كما أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ثبت عنهم تربية الأغنام، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال لحميد بن مالك بن خيثم:

---

(١) يس، الآيات ٧١ ـ ٧٣.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) رواه البخاري.

«يا ابن أخي أحسن إلى غنمك، وامسح الرغام عنها، وأَطِبْ مرامها، وصلّ في ناحيتها، فإنها من دواب الجنة، والذي نفسي بيده، ليوشك أن يأتي على الناس زمان، تكون الثُّلة من الغنم، أحب إلى صاحبها من دار مروان»(١).

وقال ﷺ في البقر: «عليكم بألبان الإبل والبقر، فإنها تَرُمّ من أنواع الشجر».

وجاء قوله ﷺ في تربية الإبل: «عز لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة»(٢).

٤ ـ التنمية في مجال الصناعة

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم﴾(٣)، أي علم داود صناعة أدوات الحرب، وامتن بها على عباده من بعده.

وقال تعالى في صناعة الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾(٤).

وقال تعالى في صناعة اللباس: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾(٥)، كما امتن سبحانه على عباده باتخاذ الصناعة من أصواف الحيوان، وأوبارها، وشعرها، فقال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد.
(٢) رواه ابن ماجه.
(٣) الأنبياء، آية ٨٠.
(٤) الحديد، آية ٢٥.
(٥) الأعراف، آية ٢٦.

دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾[(١)].

وقال تعالى ممتناً على عباده باتخاذ الصناعات كذلك ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾[(٢)].

وكان في عهد رسول الله ﷺ صناعات، وكان أهلها يشتغلون بها، وقد أقرهم على ذلك دون إنكار بل شجع أهلها على صناعتها.

ومعلوم أن التشريع للأمة يكون عن طريق القول، والعمل، والإقرار على ذلك منه ﷺ دون إنكار، فوُجد في عهده الحدادة، والحدادون، ووُجد كذلك الخياطون ووُجد الصُّواغ، والنجّارة، فوجدت هذه الصناعات وكل هذه العناوين ذكرها البخاري، وذكر الأحاديث الواردة في ذلك، فمما جاء في الصناعة: عن سهل بن سور رضي الله عنه أنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى فلانة امرأة سماها سهل أن: «مُري غلامك النجار يعمل لي أعواداً أجلس عليهن، إذا كلمت الناس، فأمرته بعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ، فأمر بها، فوُضعت فجلس عليها»[(٣)].

ومن ذلك ما رواه سهل بن سعد أنه قال: «جاءت امرأة ببردة، وقالت: يا رسول الله! إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاج إليها»[(٤)].

فمن هذين الحديثين يتبين أن رسول الله ﷺ قد أقر الصناعة، ويقاس على هاتين الصنعتين غيرهما من الصناعات في كل زمان ومكان.

---

(١) النحل، آية ٥.
(٢) النحل، آية ٨٠.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.

الفصل الحادي والعشرون

التنمية في مجال الاقتصاد الإسلامي

١ ـ المال زينة الحياة الدنيا، وهو قوام المجتمع، والمعين على تقوى الله.

٢ ـ التنمية الاقتصادية في الإسلام عبادة.

٣ ـ المسلمون أول من عالج التنمية الاقتصادية.

٤ ـ شرعية الملكية باعتبارها وسيلة إنمائية.

٥ ـ التنمية الاقتصادية، هي مسؤولية الفرد، والدولة معاً.

٦ ـ التنمية الاقتصادية، والجهاد المقدس.

٧ ـ ضرورة التنسيق في خطط التنمية الاقتصادية.

الفصل الحادي والعشرون
في مجال التنمية الاقتصادية[١]

إذا درسنا تعاليم الإسلام، وتوجيهاته في التنمية الاقتصادية وبعناية تامة، سنجد أن الإسلام جاء بمنهج كامل للحياة. فهو يهتم بالجانب المادي في حياة البشر بقدر ما يهتم بالجانب الروحي، ذلك لأنه لا يستغني أحدهما عن الآخر، وكلاهما له تأثير في الآخر، ذلك لأن الإنسان، لا يستطيع الاستغناء عن الخبز وحده في حياته، فإنه كذلك بدون الخبز، لا يستطيع أن يحيا. وإليك ما يلي:

أولاً: ومن هنا نرى أن الإسلام، وضع المشكلة الاقتصادية ـ وهي مشكلة الفقر، والتخلف منذ البدء من قبل أن تتطور الأحداث، وتتفاقم الأمور ـ حيث يجب أن توضع في الأساس وفي المقدمة.

ومن هذا القبيل، فإنه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وهو كذلك قوام المجتمع، وأنه كذلك المعين على تقوى الله تعالى وطاعته، وبيَّن أن طلب العيش فريضة على المسلم، وسماه جهاداً كذلك، بل إنه ساوى بين الكفر، والفقر باستعاذته من ذلك بقوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر»، قال رجل: أيعدلان، قال: «نعم»[٢]، وقال ﷺ: «كاد

---

(١) انظر (الاقتصاد الإسلامي، بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي)، باب: المذهب الاقتصادي في الإسلام.

(٢) رواه الطبراني.

الفقر أن يكون كفراً»[(١)]، ومن هذا القبيل، فإن القرآن حين أمرهم بالعبادة، علّله بالإطعام، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾[(٢)].

وموسى عليه السلام عندما دعا ربه بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝٢٦﴾[(٣)]، قرنه بقوله ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤﴾[(٤)].

فعلّل انشراح الصدر، وتيسير الأمر أن يقوم بواجب الطاعة، وهي التسبيح، والذكر لله تعالى.

بل إن الإسلام اعتبر ترك الفقير المسكين، وعدم القيام بواجبه من حيث سد خلته من الطعام، إنكار وتكذيب للدين. فقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾[(٥)].

ثانياً: التنمية الاقتصادية عبادة، وفريضة على المسلم

لم يخلق الله تبارك وتعالى هذا المخلوق عبثاً أو لأجل أن يأكل، ويلعب، ويلهو، وإنما خلقه لرسالة خالدة، ومهمة عظيمة، وهي العبادة لله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[(٦)].

وخلقه لكي يكون خليفة الله في أرضه، فيدير شؤونها، فيدرس

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية وضعفه السيوطي.
(٢) قريش، الآيتان ٣ و٤.
(٣) طه، الآيتان ٢٥ و٢٦
(٤) طه، الآيتان ٣٣ و٣٤.
(٥) الماعون، الآيات ١ ـ ٣.
(٦) الذاريات، آية ٥٦.

ويتعلم، ويجاهد في سبيله، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١)
قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٢).

وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٣).

خلقه ليعمر هذه الدنيا بسعيه، وانتشاره في الأرض وراء رزقه، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤).

بل إن الإسلام قد حرص كل الحرص على التنمية الاقتصادية، وتعمير الدنيا، وعدم التواكل، والقعود في البيت، قال ﷺ: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم، حتى يغرسها، فليغرسها، فله بذلك أجر»(٥).

بل أوجب عليه العمل، وحثه على الانتاج بقوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٦)، وقال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(٧).

بل إن الإسلام اعتبر العمل عبادة، يقول تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾(٨).

ويقول ﷺ: «العمل عبادة».

---

(١) البقرة، آية ٣٠.
(٢) هود، آية ٦١.
(٣) الجاثية، آية ١٣.
(٤) الجمعة، آية ١٠.
(٥) رواه البخاري، وأحمد.
(٦) التوبة، آية ١٠٥.
(٧) رواه الطبراني وهو: صحيح.
(٨) الشورى، آية ٢٦.

ويقول ﷺ: «ما عُبد الله بمثل عمل صالح»، ويقول: «من أمسى كالاًّ من عمل يده، أمسى مغفوراً له يوم القيامة»(١).

كما أن الإسلام اعتبر السعي إلى الرزق، وخدمة المجتمع من أفضل ضروب العبادة، فقد ذُكر عند النبي ﷺ: رجل كثير العبادة، فسأل من يقوم بواجبه، قالوا: أخوه، فقال: «أخوه، أعبد منه».

وأراد بعض الصحابة الخلوة، والاعتكاف لذكر الله تعالى، فقال له: «لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله ـ أي في خدمة المجتمع، وتنميته ـ أفضل من صلاته في بيته ستين عاماً»(٢).

وقال: «لكل أمة سياحة، وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»(٣).

فتبين مما ذكر أن التنمية الاقتصادية في الإسلام، هي عبادة، بل أفضل أنواع العبادة، وأصحابها مقربون عند ربهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾(٤)، فساوى بين المجاهدين في سبيل الله وهي عبادة، وبين الذين يضربون في الأرض لابتغاء الرزق، فهو عبادة كذلك.

وقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله في نظرة الإسلام إلى

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط.
(٢) رواه في المستدرك على الصحيحين.
(٣) رواه في المستدرك.
(٤) المزمل، آية ٢٠.

التنمية، والإنتاج، (والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال، وجئنا بغير عمل، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة).

ثالثاً: ومن هذا تدرك أن المسلمين أول من عالج التنمية الاقتصادية، ودرسوها وبينوا مقوّماتها، وما هي أهدافها، وما هي الوسائل لتنميتها، لكنهم لم يبحثوها تحت عنوان (التنمية) ولكن بحثوها تحت (عمارة الأرض) وهذا الاصطلاح يشمل مضمون التنمية الاقتصادية، وزيادة فقد جاء عن علي كرم الله وجهه في كتابه لواليه بمصر: «وليكن نظرك في عمارة الأرض، أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك، لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج من غير عمارة، أخرب البلاد.

وقد تناول ابن خلدون هذه القضية (التنمية الاقتصادية) وعالجها في مقدمته تحت عنوان (الحضارة، وكيفية تحقيقها).

رابعاً: شرعية الملكية باعتبارها وسيلة إنمائية، وباعتراف الإسلام بالملكية الخاصة والعامة، ونظرته إليها بتنظيمها، والتأكيد عليها إنما اعتبرها وسيلة إنمائية بمعنى أنها حافز من حوافز التنمية، بحيث تسقط تلك الشرعية عن صاحبها، سواء كانت عامة، أم خاصة، إذا لم يحسن التصرف فيها، باستخدام ذلك المال استثماراً، أو إنفاقاً في مصلحة الفرد، أو الجماعة.

فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحاسب بلالاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويعبر عن ذلك أبلغ تعبير حينما أعطى الرسول ﷺ بلالاً أرض العقيق بقوله: «إن رسول الله ﷺ، لم يعطك لتحجز عن الناس، وإنما أعطاك لتعمل، فخذ ما قدرت على عمارته وردَّ الباقي».

ومن هذا المنطلق ندرك ما يلي:

١ ـ لماذا نهى الإسلام نهياً شديداً عن اكتناز المال، وحبسه دون أن يتداوله في الإنتاج والتنمية، لمصلحة المجتمع، قال تعالى: ﴿

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾[1].

ويقول ﷺ: «من اكتنز دنانيراً، أو تبراً، أو فضة، ولا ينفقه في سبيل الله فهو كنز، يكوى به يوم القيامة».

٢ ـ ومن هنا كذلك ندرك لماذا نهى الشرع بشدة عن صرف المال بغير حق، ووضعه في غير موضعه بصرفه في الترف والسفه، فوصف سبحانه صاحبه بأنه مجرم، وأنه شيطان، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾[3].

ومن هذا الباب، أجاز الحجر على السفيه الذي يضع المال في غير موضعه، ويصرفه في غير محله.

٣ ـ وكذلك ندرك من ذلك أنه لماذا لم يسمح الفقهاء للحاكم بنزع الملكية الخاصة، أو التوسع في الملكية العامة، إلا بمقدار العمران، والتنمية الاقتصادية، ويرون أن الإمام مخير فيها تخيير مصلحة، لا تخيير شهوة.

---

(١) التوبة، الآيتان ٣٤ و٣٥.
(٢) الإسراء، آية ٧٧.
(٣) هود، آية ١١٦.

٤ ـ وندرك كذلك لماذا ربط الإسلام بين الإيمان والإنفاق في سبيل الله أي في سبيل المجتمع، ومصلحته، وتعميره، بأن جعل ذلك الإنفاق هو علامة الإيمان والتقوى، فما من آية تتحدث عن الإيمان والتقوى، إلا ويصحب ذلك الإنفاق في سبيل الله تعالى (سبيل المجتمع، وتنميته).

خامساً: التنمية الاقتصادية في الإسلام هي مسؤولية الفرد، والدولة معاً، وكلاهما يكمل الآخر، فهي مسؤولية ازدواج الملكية (الخاصة، والعامة).

فالإسلام أقرَّ الملكية الخاصة، بل حماها لدرجة قطع اليد للسارق، إذا سرق من حرز مبيّناً: «أن كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»[(١)].

وكذلك أقر الملكية العامة كملكية الدولة للأراضي التي لا يملكها أحد، وكذلك المعادن في بطن الأرض، والمرافق الأساسية من ماء، وكلأ، وقوت ضروري كالملح، وما شابهه.

المهم في ذلك أن التنمية الاقتصادية في الإسلام، هي مسؤولية الفرد، والدولة معاً فهما يساهمان في التنمية معاً، لا يستغني أحدهما عن الآخر، وكلاهما يكمل الآخر، وكلاهما أصل في الشريعة الإسلامية، وليس استثناء، وكلاهما ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بالمصلحة، والتنمية.

ومن هنا يحق لنا أن نقول إن دولة الإسلام هي دولة التنمية الاقتصادية، بمفهومها الشمولي الذي يستهدف صلاح الفرد، والمجتمع مادياً، وروحياً، وعقلياً وجسمياً.

سادساً: التنمية الاقتصادية، والجهاد المقدس، إن من أهم عوامل

---

(١) رواه الشيخان.

عدم النجاح في التنمية في بعض البلدان النامية أنّ الأساليب المستخدمة، لا تستطيع أن تحرك الأمة كلها، لمواجهة معرفة التخلف.

وإذا كانت مشكلة التخلف الاقتصادي، هي من أولى المشكلات العويصة التي تواجه الشعوب العربية، والإسلامية، إذاً لا بد من تعبئة كل القوى، والطاقات التي لديها للمعركة ضد التخلف من أجل التنمية.

وهنا لا بد من ربط التنمية الاقتصادية بفكرة الجهاد المقدس، لكي تفجر الطاقات المختزنة في الفرد المسلم، لكي تتحقق التنمية الاقتصادية بإحالتها إلى ممارسة دينية، وواقع إيماني، ذلك أن الإسلام يقوم أساساً على قاعدة (الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[١].

ومن الأمر بالمعروف، في تصورنا، يتناول بصفة أساسية، تحقيق التنمية الاقتصادية؛ والنهي عن المنكر يشمل أساساً أهم صوره، ألا وهو التخلف الاقتصادي لأنه في النهاية يؤدي إلى كثير من مساوىء المجتمع، والانحرافات الخلقية.

ومن هنا فلا بد من تعبئة النفوس، فَنُعلنها حرباً ضد التخلف ومن أجل التنمية الاقتصادية الإسلامية الشاملة وخاصة إذا علمنا أن إسرائيل ودول الغرب تسعى للسيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية والإسلامية.

ومعركتنا مع هؤلاء، ليست مقصورة على إزالة العدوان، بل بتخلفنا الاقتصادي، وما يحتمه علينا الواقع من ضرورة التنمية الاقتصادية العاجلة، لنقف في وجه ذلك العدو المتربص بنا، وباقتصادياتنا، وديننا الحنيف!!

سابعاً: ضرورة التنسيق في خطط التنمية الاقتصادية على المستويين

(١) آل عمران، آية ١١٠.

العربي، والإسلامي: يجب على الدول العربية، والإسلامية مجتمعة التنسيق فيما بينها، ووضع خطط لها بحسب إمكانية كل دولة عربية وإسلامية بحيث يكمل كل منهما الآخر، وهو ما يحقق لها أكبر استفادة من إمكانيات كل دولة، وهو في نهاية الأمر يؤدي إلى الوحدة وإلى التعاون والتضامن الإسلامي. ونحتاج اليوم إلى دراسة عملية دقيقة في مجال التنمية الاقتصادية ألا وهو التعاون والتكامل الاقتصادي، وإلى المبادرة بوضع خطط تنمية واضحة المعالم.

ومن هنا كان لزاماً على الدول المعنية، عقد مؤتمر إسلامي، يناقش برامج التنمية، ويدرسها على برنامج علمي، ورؤية واقعية لنقط الضعف، والقوة من أجل البناء المشترك والتكامل للوطن العربي والإسلامي ككل.

الفصل الثاني والعشرون

التنمية في مجال الإنتاج

تمهيد: معنى الإنتاج، وهدفه.

١ ـ عوامل الإنتاج: رأس المال، العمل، الموارد الطبيعية.

٢ ـ عناصر التنمية التي يجب أن تتوفر في الإنتاج.

٣ ـ تنظيم تنمية الإنتاج.

أ ـ الاستصناع.

ب ـ المزارعة.

ج ـ المساقاة.

د ـ الشركة: شركة الأموال، شركة الأبدان، شركة الوجوه، شركة المضاربة.

الفصل الثاني والعشرون
التنمية في مجال الإنتاج

تمهيد:

أ ـ معنى الإنتاج:

الإنتاج هو عمارة الأرض.

قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[١].

بهذه الآية استدرك العلماء على أن عمارة الأرض واجبة، وفرض.

قال بعض الشافعية، الاستعمار، طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى، يدل على الوجوب.

وقال الجصاص: وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض بالزراعة، والغرس، والأبنية.

ب ـ هدف الإنتاج:

الخالق تبارك وتعالى خلق الإنسان لعبادته وليكون خليفته في الأرض، لإدارة شؤونها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٢]، وهذا الإنسان مخلوق لا يستغني عن الطعام والشراب، وحياته واقفة على ذلك.

---

(١) هود، آية ٦١.

(٢) الذاريات، آية ٥٦.

إذاً، لا بد له من الطعام، والشراب، لكي يقوم بواجب العبادة، لذا أمره بمزاولة الإنتاج للمواد المختلفة وأوجب عليه ذلك، يقول ابن تيمية: «إن الأصل أن الله إنما خلق الأموال، إعانة على عبادته، لأنه إنما خلق الخلق لعبادته».

ومعنى عبادة الله أن يتحرر الإنسان من كل سلطان في الأرض، إلا سلطان الخالق تبارك وتعالى، فيتحرر من سلطان الجور السياسي، والجور الاقتصادي والجور الكهنوتي، وسلطان الشهوات، وسلطان الأهواء، والعلو في الأرض، والجاه، وغير ذلك، وإن سلطان الله هو سلطان الحق، والخير والعدل. إذاً، مقتضى أن الإنسان خلق لعبادته سبحانه أن يتجرد: لحفظ سلطان الخالق تبارك وتعالى وإقامته في الأرض على ضميره أولاً، وإقامته على محيطه الاجتماعي ثانياً، وفي كل مكان في الأرض على قدر استطاعته، وطاقته الحسية، والمعنوية. يتبين من ذلك أن عمارة الأرض ليست مقصودة لذاتها، وإنما المقصد الذي يشرف كل شيء في الوجود بأن يكون عاملاً له، وموجهاً إليه فحسب فلا يكون ذلك الإعمار لإشباع الغرائز النفسية من المتعة والأهواء، والملذات... وحينئذ ينقلب إلى تخريب الأرض، لا عمارتها، فالعمارة تكليف من الخالق جل وعلا للإنسان، والغاية من وجود الإنسان هي عبادته تعالى في الأرض.

١ ـ عوامل التنمية في الإنتاج

أولاً: رأس المال:

يقصد برأس المال في الاقتصاد، هي تلك الأموال التي تنتج عن تضافر العمل، والموارد الطبيعية التي لا تصلح مباشرة لإشباع حاجات

الناس، وإنما تستخدم لإنتاج أموال أخرى صالحة للإشباع المباشر.

ثانياً: العمل:

والمقصود به كعنصر من عناصر الإنتاج وهي بذل الجهد المستمر في تثمير الموارد لمضاعفة الغلة، لأجل رخاء الأمة ولدعم وجودها، وكيانها وقيمتها العليا.

فالإنسان مسؤول أمام الخالق جل وعلا في الآخرة ومسؤول في الدنيا أمام المجتمع، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[١].

فالعمل إذاً، ينمو في معترك الواقع الملموس، لا في صومعة ولا في أوهام!

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[٢]، والعمل يكون في التجارة، والزراعة، والتصنيع... ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[٣]، قال المفسرون إن (الاستعمار) معناه طلب العمارة، والطلب منه هو فرض وواجب، وقالوا يكون ذلك بالأبنية، والزراعة، والصناعة، واستخراج المعادن...

وقد قال ﷺ: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض»[٤].

---

(١) التوبة، آية ١٠٥.
(٢) الملك، آية ١٥.
(٣) هود، آية ٦١.
(٤) أورده السخاوي.

ولفظ العمل لا يقتصر على العامل الأجير فحسب، وإن كان هو جانب من جوانب العمل، لا شك في ذلك، ولكن العمل في الإسلام على إطلاقه يمتد إلى ما فوق ذلك من النشاط الاقتصادي للإنسان بكل صوره وأوضاعه الاقتصادية للإنسان.

ثالثاً: الموارد الطبيعة: وتشمل:

أ ـ الأراضي الزراعية، وخاصة الأراضي القابلة للزراعة.

ب ـ الثروة النباتية الطبيعية كالغابات والمراعي.

ج ـ الثروة الحيوانية الطبيعية.

د ـ الثروة الجوفية، كالمناجم، وآبار البترول.

هـ ـ الثروة المائية بأنواعها: (أسماك، أعشاب، مساقط مياه..).

وهذه الموارد الطبيعية يمكن الاستدلال بها في القرآن الكريم.

١ ـ ففي الأراضي الزراعية، والأشجار يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾[2].

---

(١) النحل، الآيتان ١٠ و١١.
(٢) الأنعام، آية ٩٩.

٢ ـ وفي الثروة الحيوانية وما تنتجه من منافع كالركوب عليها، وجر الحرث، وما يؤخذ منها من لحم، وصوف، وشعر، ووبر. . .

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾[2].

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾[3].

٣ ـ وفي مناجم الفلزة[4] باختلاف ألوانها يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[5].

ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾[6]، ومعنى جدد أي طرق أي ترى في رأي العين كأنها طرق في الجبال بهذه الألوان.

ويقول ﷺ: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض»[7].

---

(١) يس، الآيتان ٧١ و٧٢.
(٢) النحل، آية ٧.
(٣) النحل، آية ٨٠.
(٤) الفلز: هي جواهر الأرض من ذهب وفضة وحديد ونحاس. .
(٥) الحديد، آية ٢٥.
(٦) فاطر، آية ٢٧.
(٧) أورده السخاوي.

والخبايا هي ما خبىء في الأرض من الذهب والفضة والقصدير والألومنيوم، وقد يكون البترول كذلك والغاز، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]، وهذا من معجزاته، وخاصيته ﷺ التي أطلعه الله عليها.

٤ ـ موارد المياه: وأما الموارد للمياه فهي الأنهار والعيون والآبار والبحار، وما في باطنها من ثروات، وما لها من منافع جمة، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾[3].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾[5].

٥ ـ وأما المعادن السائلة في جوف الأرض، وتيارات الرياح، والطاقات القوية الأخرى، فيقول تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ[6] ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ

---

(١) النجم، الآيتان ٣ و٤.
(٢) النحل آية ١٤.
(٣) إبراهيم، آية ٣٢.
(٤) الزمر، آية ٢١.
(٥) يس، الآيتان ٣٤، ٣٥.
(٦) القطر: النحاس المذاب.

رَبِّهِۦ﴾[١].

ومن هنا كان لا بد للإنسان من استغلال تلك الموارد بما يلي:

أ ـ احترام الموارد: بحيث يحبها، لأنها من خلق الله ومن رزقه تعالى، وهذا الاحترام يمنعه من العبث بها، أو الاستهانة بها بل عليه أن يحبها بالمحافظة عليها ويضع كل شيء فيما خلقه الله له، فلا يتجاوز الحد في ذلك، وإلا كان ظالماً.

وذوو الألباب، هم الذين يدركون ذلك كله على حقيقته، ومن هنا جاء التوجيه النبوي يحذّر من أن يضيّع الإنسان تلك الموارد في غير ما خلقت له، فقد قال ﷺ: «من قتل عصفوراً عبثاً، عجّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني منفعة»[٢].

وجاء قوله ﷺ: «بينما رجل راكب بقرة، التفتت إليه، فقالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحرث»[٣].

ب ـ أن يؤخذ كل شيء بقانون تثميره الذي به تظهر غلته ويدعو إلى أقصى ما يمكن من مضاعفة الكمّ فيه وتحسين نوعه لذا يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾[٤]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾[٥].

---

(١) سبأ، آية ١٢.
(٢) رواه النسائي، وابن حيان.
(٣) رواه البخاري.
(٤) هود، آية ١٥.
(٥) هود، آية ١١٧.

ج ـ يجب بذل الجهد بالدرجة القصوى لاستغلال تلك الموارد بتعهدها بالصيانة، والتحسين، والتقوية وعدم التخاذل عنها، وهو من باب احترام النعمة والشكر والتقدير للخالق جل وعلا.

٢ ـ عناصر التنمية التي يجب توفرها في الانتاج

أولاً: يجب أن تكون التنمية محصورة في دائرة الحلال والبعد عن الحرام:

النظام الإسلامي له مقاييس، وموازين ومعايير، وتشريعات وأحكام كلها في الكتاب والسنة (الشريعة).

فالشريعة الإسلامية تأمر بالأنشطة، وتتوخى الأعمال الإنسانية المرغوب فيها شرعاً، والتي تنفع الناس، وتفيد المجتمع، والتي يطلق عليها (الحلال) وبالمقابل لا تقبل أنشطة، وأعمالاً أخرى ضارة بالفرد والمجتمع (الحرام).

ومن هنا فإن مهمة الاقتصاد الإسلامي الرئيسة، هي تنظيم أنشطة الإنسان، وأعماله في مجالات الإنتاج والتبادل، والتوزيع والاستهلاك والكسب، والإنفاق.. أخذاً بقاعدة الحلال، والحرام، وما ينتج عنهما.

ويمكن تقسيم الإنتاج إلى قسمين:

أ ـ الإنتاج المباح.

ب ـ الإنتاج غير المباح.

ويلاحظ أن الإنتاج قد يكون مباحاً في الأصل، ولكن المشروع الذي يقوم عليه الإنتاج، أو البيع يستغل السوق، فيمارس الاحتكار مثلاً، فهناك لا يحرم الإنتاج ذاته، بل يحرم الفعل اللاحق به وقد يكون التحريم يمتد إلى الطريقة التي تدار بموجبها عوامل الإنتاج كتشغيل رأس المال

بالربا مثلاً. ومن هنا، فلا بد أن العملية الإنتاجية في الإسلام تدخل كلها دائرة الحلال التي تشمل المضمون، والهدف والوسيلة:

ـ المضمون: لا تستثمر الأموال إلا فيما تراه الشريعة مباحاً سليماً من الحرام أو الشبهة حوله.

ـ الهدف: أن تكون العمليات الوسيطة داخلة في دائرة الحلال (تحويل ـ تسويق ـ توزيع). فليس هناك اقتراض بفائدة وليس هناك غش، وليس هناك احتكار، ولا تدليس.

ـ الوسيلة: بحيث تكون كل الخطوات التي تجري في عملية الإنتاج داخلة ضمن دائرة الحلال كذلك. فليس هناك غبن في الأجور، ولا نقصان لأي مبدأ من مبادىء العدل، والإنصاف في معاملة العمال أو ساعات تشغيلهم.

فالقاعدة الأساسية التي يتمسك بها الاقتصاد الإسلامي هي قاعدة الحلال، والحرام.

ومن هنا فإن انحصار الإنتاج في دائرة الحلال يمد الموارد الإقتصادية مقدرة أكبر لإشباع الحاجات الإنسانية الضرورية، وغيرها من الحاجات اللازمة لتحسين مستوى العيش في المجتمع، لأن تطلعات الإنسان المتزايدة للاستهلاك، تظل منضبطة في إطار الحلال ولا تتعداه لغيره.

وهذا من شأنه سد منافذ التطلعات الضارة للاستهلاك، وسد أبواب الشهوات التي تستهلك جانباً من الموارد النادرة.

وتطبيقاً لهذه القاعدة (الحلال والحرام) نرى أن الإسلام قد حرّم على أبنائه صناعات وحِرف تضرّ بالمجتمع، تضرّ في عقيدته، وأخلاقه.

فحرّم البغاء، وصناعة الخمور، والمخدرات، والفنون الجنسية، وكذلك حرم الغش والخديعة، لأنه يدعو إلى أكل أموال الناس بالباطل،

قال ﷺ: «من غش أمتي، فليس مني»[(١)].

ويأمر الإسلام كذلك بالصدق والأمانة يقول ﷺ: «البيعان بالخيار، فإن صدقا، وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما، وكذبا، محقت بركة بيعهما»[(٢)].

ويقول: «التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة»[(٣)].

ونهى الشرع عن الكسب الحرام، فهو يحرّم إنتاج الخمور وبيعها، والميتة، والخنزير ففي الخمر يقول ﷺ: «لعن الله عاصر الخمر، ومعتصرها، وحاملها، وشاربها، والمحمولة إليه، وساقيها»[(٤)].

ثانياً: وجوب تداول الإنتاج بالتنمية والاستثمار وعدم التوقف:

إن الإسلام يحث على تنمية المال باستمرار وعدم التوقف، ومن الأمثلة على ذلك قوله ﷺ: «ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين».

ويقول: «من عطل أرضاً ثلاث سنين ولم يعمرها فجاء غيره، فعمرها، فهي له».

ومن هذا الباب الحث على الغراس، والزرع، والتأكيد عليه، وعدم التوقف، قوله ﷺ: «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها، فليغرسها، فله أجر».

ومن هذا الباب كذلك الحث على تنمية النقود، وتداولها لئلا تأكلها الزكاة، قال ﷺ: «اتجروا بمال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة».

---

(١) الحديث رواه أصحاب السنن.
(٢) الحديث رواه الشيخان.
(٣) رواه الإصفهاني، والديلمي.
(٤) مصابيح السُّنة.

ومن هنا حرّم اكتناز المال، ووعد كانِزُه بالعذاب الشديد لأنه عطّل هذه النقود عن مهمتها، وعن الحكمة التي وجدت من أجلها، وهي استفادة المجتمع منها فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[1].

ثالثاً: وجوب إتقان العمل في الإنتاج:

ومن الدوافع التي تؤدي إلى التنمية في الإنتاج، إتقان العمل، ومعناه الإخلاص في العمل، لكي تكون أكثر قابلية عليه، وتقبلاً له، وهو شيء أساس في الإسلام، وبدونه لا يكون للإنتاج قيمة تذكر، قال تعالى: ﴿وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2]، ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾[3].

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾[4].

ويقول ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، ويحسنه».

وأي أساليب أخرى جديدة تدعو إلى الاتقان، فعلى المسلم التوجه إليها، والأخذ بها، لكي ينمي ماله في حدود دائرة الحلال.

وهناك آيات كثيرة تؤكد على هذا المعنى، وتحبذه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾[5].

---

(١) التوبة، آية ٣٤.
(٢) النحل، آية ٩٣.
(٣) المدثر، آية ٣٨.
(٤) الإسراء، آية ١٣.
(٥) البقرة، آية ٢٩.

ويقول: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[١]، ويقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[٢].

رابعاً: يجب الأخذ بالنمو المتوازن لمصلحة المجتمع:

إذا كان الإسلام يأمر بالتنمية في العمل، فإنه كذلك يأمر بالتوازن الاقتصادي بحيث لا يطغى عمل اقتصادي على آخر، فلا يلتفت إليه ولا يؤخذ به، فيجب الموازنة بين التنمية الزراعية، والتنمية الصناعية مثلاً، فلا ينحاز إلى واحدة، ويترك الأخرى، فيرى الفقهاء المسلمون أن يكون المجتمع الإسلامي متوازناً في اقتصاده كما هو متوازن في جميع مقوماته وخصائصه، فإذا انبرى الناس إلى الأخذ بحرفة معينة، وأهملوا الحرف الأخرى، ولم يأخذوا بها بما يرجع بالضرر على المجتمع، فإن الحاكم، يجب عليه أن يتدخل في ذلك، ويغيره إلى الأحسن والأفضل، فإذا ما تركوا الصناعة، والتجارة مثلاً، واكتفوا بالزرع، ورعي الأغنام، فإن على الحكومة أن تغير ذلك وتأمرهم بالأخذ بكل أسباب الإنتاج، لأن الناس في حاجة إلى كل ذلك، فإذا كانوا في حاجة إلى الزراعة، ورعي الأغنام، فهم كذلك في حاجة إلى التجارة، والصناعة.

ومن هنا جاء النهي عن الأخذ بالحرث، والزراعة والإكتفاء به دون غيره في قوله ﷺ عندما رأى سكة، وشيئاً من آلة الحرث: «لا يدخل هذا بيت قوم، إلا أدخله الذل»[٣].

مع أنه قد أشاد بالزرع، والغرس بقوله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان به

(١) هود، آية ٦١.
(٢) فاطر، آية ٣٩.
(٣) رواه البخاري.

صدقة»[١]، أي يحصل له الثواب العظيم.

لذا يجب التوازن في تنمية الإنتاج بحيث لا يكتفى بالإنتاج في سلعة، وترك أخرى.

٣ ـ تنظيم تنمية الإنتاج

ومن الصور التي يجب الأخذ بها لتنظيم تنمية الإنتاج ما يلي:

أ ـ الاستصناع، وهو طلب عمل شيء على وجه مخصوص، المادة تكون من الصانع، وقد تكلم الفقهاء على هذا النوع من العقود، وأقروه في كتبهم المختلفة، لأن الناس لا يستغنون عنه في معاملاتهم في كل زمان ومكان، ويشترط في صحته: أن يعيَّن المصنوع تعييناً مانعاً للنزاع مستقبلاً بأن يعين جنسه، ونوعه، وقدره وصفته، ويدفع الثمن عند استلام ذلك المصنوع، ويبطل بموت أحدهما.

ب ـ المزارعة موجودة من قديم الزمان، وقد أقرتها الشريعة الإسلامية وهي العقد بين صاحب الأرض، والزارع، ثم يقسم الحاصل بينهما حسب الاتفاق، ويشترط لصحتها ثمانية شروط:

١ ـ أهلية العاقدين.

٢ ـ كون الأرض صالحة للزراعة، لأن المقصود لا يحصل بدون ذلك.

٣ ـ أن تبين المدة بأن تكون معلومة، لأن المزارعة عقد على منافع الأرض، ومنافع العامل.

٤ ـ بيان من عليه البذر، قطعاً للمنازعة.

---

(١) رواه البخاري.

٥ ـ أن ينص على بيان نصيب كل منهما.

٦ ـ أن يترك رب الأرض للعامل الحرية في العمل لكي يتمكن من العمل دون عوائق.

٧ ـ أن يبين جنس البذر، لكي يصبح الأجر معلوماً.

٨ ـ أن تكون حصة كل من المتعاقدين حصة شائعة من الخارج معلومة كالربع، أو النصف...

ج ـ المساقاة: وهي معاقدة دفع الشجر، والكروم إلى من يصلحها بجزء شائع معلوم من ثمرها والمساقاة، كالمزارعة في أحكامها.

د ـ الشركة: وهي خلط النصيبين فصاعداً، بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر.

وأنواعها:

أ ـ شركة الأموال.

ب ـ شركة الأبدان.

ج ـ شركة الوجوه.

هـ ـ شركة المضاربة: ومعنى المضاربة إتجار الإنسان بمال غيره، ويسمى (القراض) كذلك، وهو نوع من أنواع الشركة، بحيث يكون رأس المال من شخص، والعمل من شخص آخر والربح بما يتفق عليه الطرفان كالربع والنصف والعشر.

وهي تنقسم إلى قسمين:

١ ـ مطلقة، وهي التي لا تتقيد بالزمان والمكان ولا بنوع التجارة.

٢ ـ مقيدة، وهي ما قيدت بشيء معين من العروض وبمدة محدودة.

ويشترط لذلك أن يكون رأس المال معلوماً من النقود، ويشترط أن

يكون نصيب كل منهما معلوماً كذلك، وهو جزء شائع من الربح كالنصف، أو الربع مثلاً..

والمضارب أمين على رأس المال، فهو كالوديعة في يده، ومن جهة تصرفه فيه، فهو وكيل عن رب المال، وإن ربحت المضاربة، فهو حسب إبرام العقد، فهما شريكان في الربح وإن حصلت خسارة، فعلى رب المال، والعامل قد خسر عمله كذلك.

وإذا فسدت فالربح كله يكون لصاحب المال، وللعامل أجر المثل بشرط ألا يتجاوز ما اتفقا عليه من الحصة[(١)].

---

(١) انظر «المغني» لابن قدامة المقدسي؛ و«الفقه على المذاهب الأربعة».

الخاتمـة

وبعد، فقد رأينا فيما أوردناه من فصول في هذا المؤلف أن مفهوم التنمية المطلوبة في الإسلام، ليس قاصراً على بابين، أو ثلاثة في الشريعة الإسلامية وإنما هي تشمل أبواباً عدة، ومجالات متنوعة، يطلب الإسلام فيها النماء، ويحضّ فيها على الزيادة، مع الترغيب في استمرارية العمل الدؤوب، وعدم التوقف وذلك لمصلحة الفرد، والمجتمع، والدولة، والوطن، وبالتلو عمارة الأرض التي استخلفنا الخالق جل وعلا، واستعمرنا فيها، وهيأ لنا السبل الكثيرة والمجالات المتنوعة، لكسب العيش، وطلب الرزق، لنقوم بمهمة العبادة ـ التي من أجلها وجدنا على هذه الأرض ـ أفضل قيام وعلى أحسن وجه وبالكمال، والتمام.

هذا ما يسره الله في هذا الصدد، والحمد لله أولاً وآخراً، وبحمده تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عدد ما ذكر الله الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون وعلى آله، وصحبه، وسلم.

الدوحة في ٩ ذي الحجة ١٤٢٨هـ، الموافق ١٩/ ١٢/ ٢٠٠٧

د. عبد الله عبد الرحيم العبادي

الفهرس

الموضوع الصفحة

المقدمة ٥

تعريف التنمية ٩

الفصل الأول: التنمية في مجال الإيمان ١١

الفصل الثاني: التنمية في مجال العبادات ١٧

الفصل الثالث: التنمية في مجال الأخلاق والآداب والسلوك ٣٥

الفصل الرابع: التنمية في مجال الحقوق والواجبات ٤٥

الفصل الخامس: التنمية في مجال العلم والمعرفة والاختراع ٥٩

الفصل السادس: التنمية في مجال الجهاد ٦٥

الفصل السابع: التنمية في مجال النظافة والطهارة ٧١

الفصل الثامن: التنمية في مجال التربية ٨١

الفصل التاسع: في مجال التنمية البشرية ٨٩

الفصل العاشر: التنمية في مجال المسؤولية ٩٥

الفصل الحادي عشر: في مجال تنمية شخصية المسلم ١١٥

الفصل الثاني عشر: في مجال تنمية النصيحة ١٣٥

الفصل الثالث عشر: في مجال التنمية الاجتماعية ١٤٣

الفصل الرابع عشر: في مجال تنمية الروح والعقل والجسم في الإطار الإسلامي ١٤٩

الفصل الخامس عشر: التنمية في مجال الدعوة إلى الإسلام ١٥٩

الفصل السادس عشر: في مجال تنمية الأخوة والمحبة في الله ١٦٧

الفصل السابع عشر: في مجال تنمية التوبة والاستغفار والذكر والدعاء ١٧٣
الفصل الثامن عشر: في مجال تنمية البذل والعطاء والإنفاق ١٧٩
الفصل التاسع عشر: التنمية في مجال العمل، والكسب ١٨٥
الفصل العشرون: في مجال تنمية المال ١٩٣
١ ـ التنمية في مجال التجارة ١٩٨
٢ ـ التنمية في مجال الزراعة ١٩٩
٣ ـ التنمية في مجال الثروة الحيوانية ٢٠٢
٤ ـ التنمية في مجال الصناعة ٢٠٣
الفصل الحادى والعشرون: التنمية في مجال الاقتصاد الإسلامي ٢٠٥
الفصل الثاني والعشرون: التنمية في مجال الإنتاج ٢١٧
الخاتمة ٢٣٥
الفهرس ٢٣٧
كتب المؤلف ٢٣٩

كتب للمؤلف

١ ـ من الآداب والأخلاق الإسلامية. (مطبوع)

٢ ـ موقف الشريعة من المصارف الإسلامية المعاصرة رسالة (دكتوراه) بمرتبة الشرف الأولى. (مطبوع)

٣ ـ الذبائح في الشريعة الإسلامية (ماجستير). (مطبوع)

٤ ـ العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟ (القسم الأول). (مطبوع)

٥ ـ العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟ (القسم الثاني). (مطبوع)

٦ ـ العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه؟ (القسم الثالث). (مطبوع)

٧ ـ المباح من الحيوان، وشروط حل الذبيحة. (مطبوع)

٨ ـ حكم الأضحية وحكمة مشروعيتها. (مطبوع)

٩ ـ المحرم من الحيوان والحكمة من ذلك التحريم. (مطبوع)

١٠ ـ حكم الصيد، وشروطه وآدابه. (مطبوع)

١١ ـ العقيقة وحكمها والحكمة من مشروعيتها. (مطبوع)

١٢ ـ ذبائح أهل الكتاب وشروط حلها. (مطبوع)

١٣ ـ تقديم طاعة على أخرى أو تركها نظراً للزمان والمكان. (مطبوع)

١٤ ـ مقالات أدبية اجتماعية. (مطبوع)

١٥ ـ مقالات وردود علمية. (مطبوع)

١٦ ـ أخطاء لغوية معاصرة. (مطبوع)

١٧ ـ الأدعية والأذكار الواردة في المناسبات. (مطبوع)

١٨ ـ الابتلاء والصبر عليه ومكانته من الإيمان. (مطبوع)

١٩ ـ السبيل المرشد إلى بداية المجتهد ونهاية المقتصد (أربعة مجلدات). (مطبوع)

٢٠ ـ الواقع التاريخي للمسلمين. (مطبوع)

٢١ ـ الرحمة وشموليتها في الإسلام. (مطبوع)

٢٢ ـ المرأة ومكانتها في الإسلام. (مطبوع)

٢٣ ـ آداب الزواج والمعاشرة. (مطبوع)

٢٤ ـ المسؤولية في الإسلام. (مطبوع)

٢٥ ـ الخصائص الإسلامية وما توحي إليه من أهداف وتحقق من غايات. (مطبوع)

٢٦ ـ واقع المسلمين اليوم. (مطبوع)

٢٧ ـ فضائل الأمة الإسلامية في الدنيا والآخرة. (مطبوع)

٢٨ ـ الوصايا الخالدة والنصائح النافعة. (مطبوع)

٢٩ ـ السلام في الإسلام وآداب المجالس. (مطبوع)

٣٠ ـ الجمعة والجماعة ودور المساجد في التربية. (مطبوع)

٣١ ـ موسوعة العلم الحديث في ميزان الكتاب والسنة. (مطبوع)

٣٢ ـ رحلة الفناء إلى الخلود والبقاء. (مطبوع)

٣٣ ـ المقاصد في قصص الكتاب المبين. (مطبوع)

٣٤ ـ رسالة حول القعود في المصلى حتى تطلع الشمس. (مطبوع)

٣٥ ـ التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام. (تحت الطبع)

٣٦ ـ خصائص سيد المرسلين منذ بعثته إلى يوم الدين. (مطبوع)